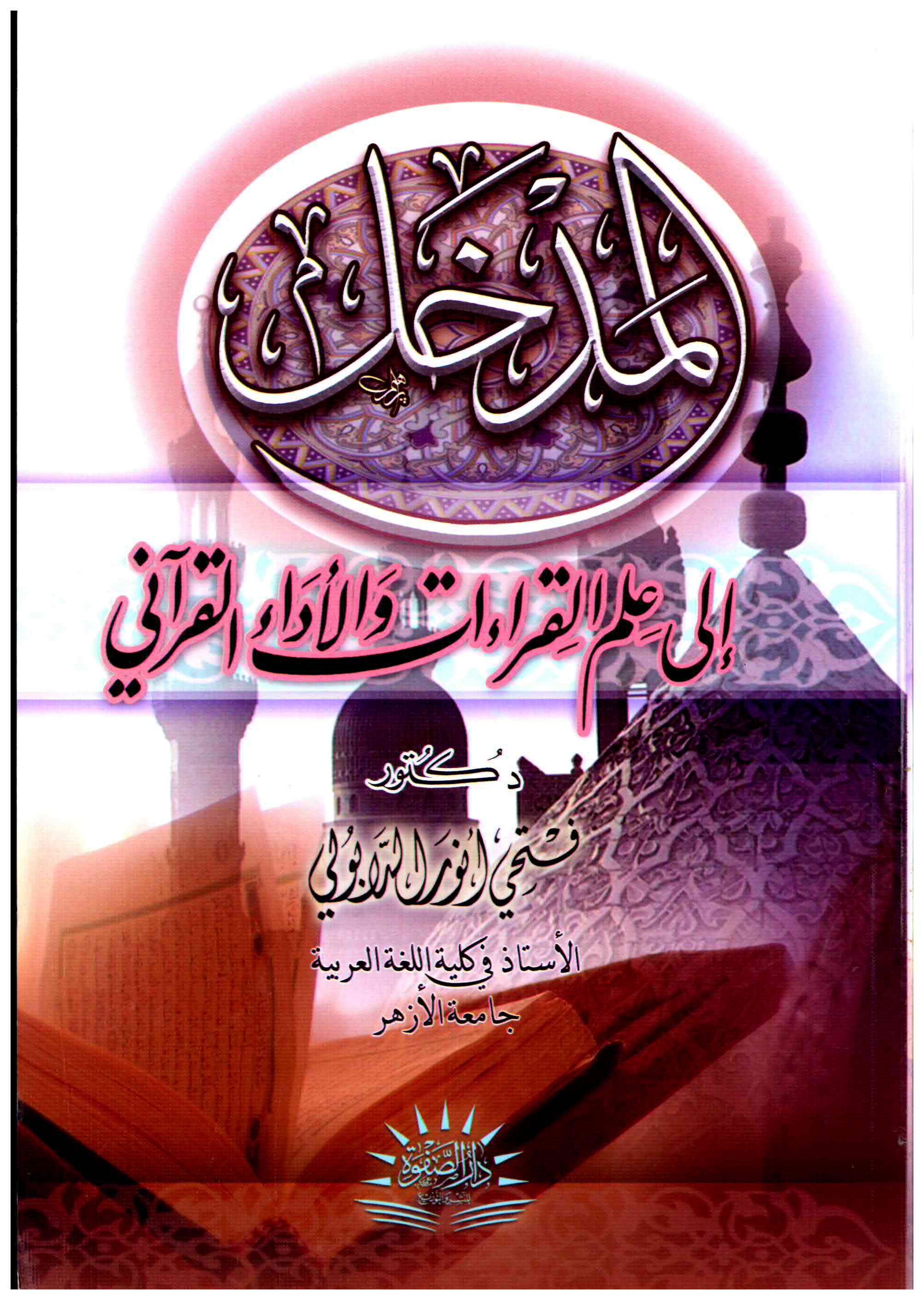


المدخل
إلى علم القراءات والأداء القرآني
دكتور
فتحي أنور الدابولي
الأستاذ في كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر
دار الصفوة



المدخـــــل إلـــى علم القراءات والأداء القرآنى

دكتور

فتحى أنور الدابولى

الأستاذ في كلية اللغة العربية

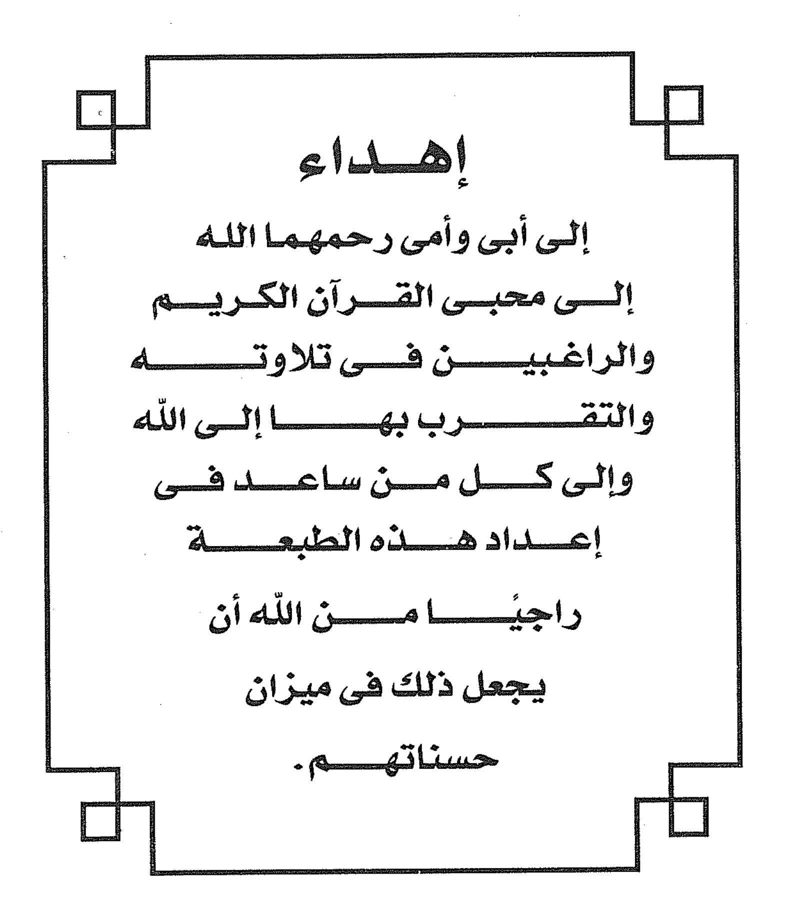
جامعة الأزهر

الطبعة الثانية

(مزيدة ومنقحة)

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م





إهداء

إلى أبى وأمى رحمهما الله

إلى محبى القرآن الكريم

والراغبين فى تلاوته

والتقرب بها إلى الله

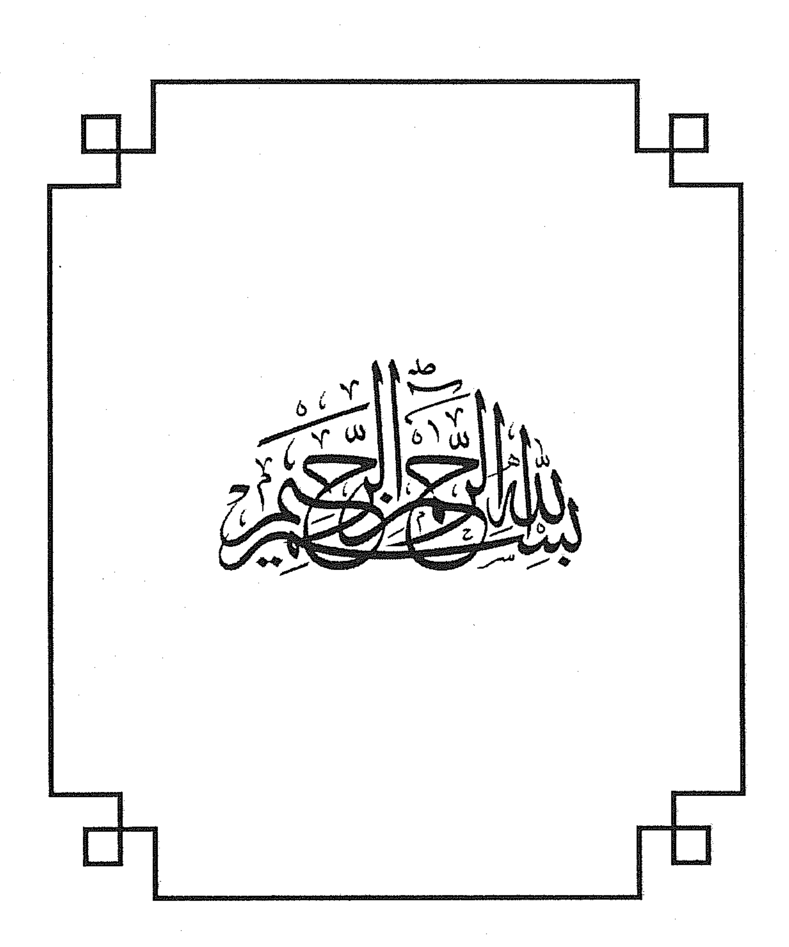
وإلى كل من ساعد فى

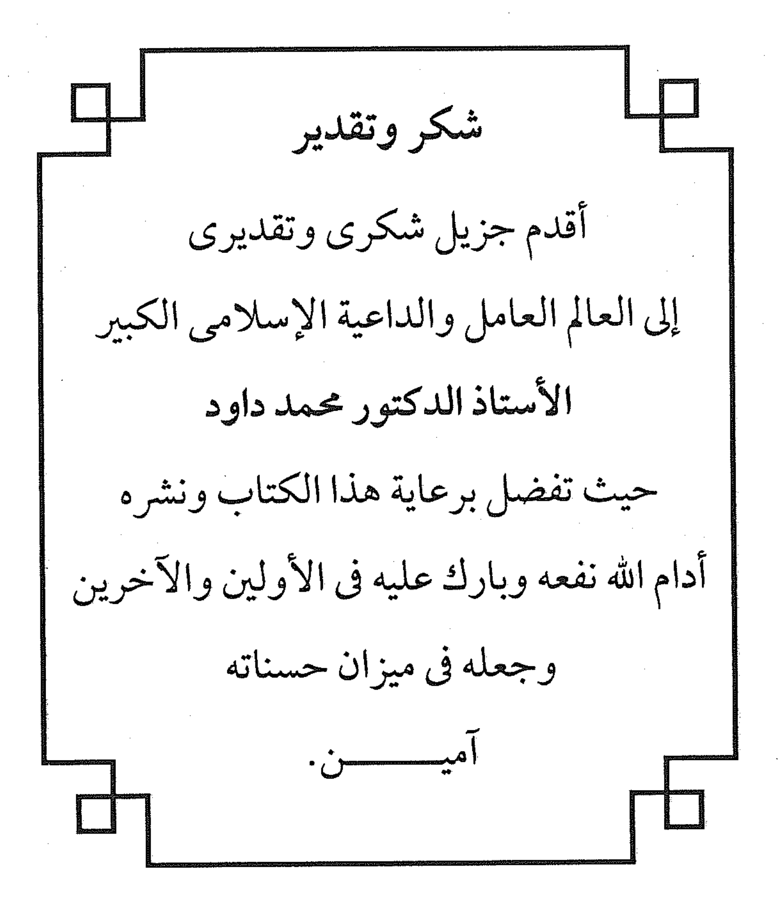
إعداد هذه الطبعة

راجيًا من الله أن

يجعل ذلك فى ميزان

حسناتهم.


بسم الله الرحمن الرحيم



شكر وتقدير

أقدم جزيل شكرى وتقديرى

إلى العالم العامل والداعية الإسلامى الكبير

الأستاذ الدكتور محمد داود

حيث تفضل برعاية هذا الكتاب ونشره

أدام الله نفعه وبارك عليه فى الأولين والآخرين

وجعله فى ميزان حسناته

آميــــــن.

مُقَدِّمَة

الحمد لله، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد، وعلى آله ومن تبعه.

وبعـــد...

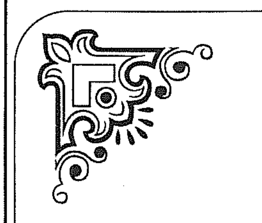
فهذه دراسة ترجع أهميتها إلى شرف موضوعها؛ أى: القرآن الكريم وقراءاته وتجويده، قسمتها قسمين:

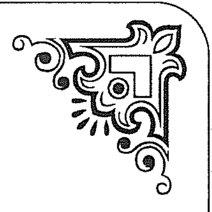
الأول: يتعلق بالقرآن وقراءاته من حيث أوجه اختلافها ونشأتها ومصادرها، وحديث: «أُنْزل القرآن على سبعة أحرف...»، ورسم المصحف وتطور طباعته... إلخ.

والقسم الثانى: عن أهم أحكام التجويد التى تتناول أداء القرآن الكريم أداءً سليمًا؛ كمفهوم التجويد، وكيفية قراءة القرآن، ومعنى «اللحن» فى القراءة، ومخارج الحروف وصفاتها، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، والمد والقصر والوقف... إلخ.

وقد فضلت فى هذا العمل: الإيجاز والاختصار؛ ليعم نفعه، ويسهل تداوله، راجيًا من الله ﷻ أن يتقبله، وأن يجعله فى ميزان حسناتى، خالصًا لوجهه الكريم. إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

د/ فتحى أنور الدابولى
الأستاذ فى كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر



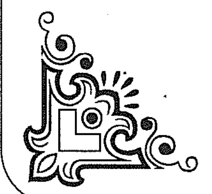


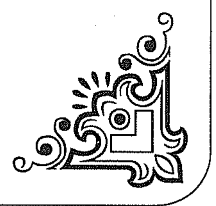
القسم الأول

فــى

القراءات القرآنية







القسم الأول

فى القراءات القرآنية

١- القرآن الكريم:

القرآن فى اللغة: مصدر قرأ يقرأ ويقرُؤ قَرْءًا وقراءة وقُرآنًا، وهو مصدر كالغُفْران والكفران، وقد تحذف الهمزة منه تخفيفًا، ورُوِى عن الإمام الشافعى ﷺ أن القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من (قرأت)، ولكنه اسم كتاب الله مثل: التوراة والإنجيل. ويهمز: قرأت ولا يهمز (القران) كما نقول: قرأت القران، وكان أبو عمرو ابن العلاء لا يهمز القرآن[١]، وعلى ذلك فلفظ القرآن جامد وليس بمشتق.

وقد اتفق علماء العربية والأصوليون والفقهاء على أن القرآن الكريم هو «كلام الله المعجز المنزل على رسوله محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته المتحدَّى بأقصر سورة منه، المكتوب فى المصاحف، المنقول بالتواتر عن رسول الله ﷺ لا تَشْبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد»[٢].

٢- القراءات والمصطلحات:

القراءات: جمع قراءة، وعلم القراءات علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم فى الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع، وهو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو النقلة، وقيل: القراءات، اختلاف ألفاظ القرآن فى

---

(١) انظر: اللسان (قرأ).

(٢) انظر: مباحث فى علوم القرآن/ ٢١.

الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتشـديد وغيرهما، ولابد فيها من التلقى والمشافهة؛ لأن فى القراءات مواضع لا تُحكم إلا بالسماع والمشافهة.

- والقراءة: مصدر قرأ، وهى كيفية أداء القرآن على وجه من الوجوه المعروفة فى القراءة؛ كالتحقيق والتسهيل[١].
- القارئ: له رُواة: فمثلًا (نافع) (شيخ) له راويان: قالون وورش[٢].
- المقرئ: مَنْ عَلِم بالقراءة أداءً (الدراية)، ورواها مشافهة، وهو الذي يقرئ غيره.
- والأداء: هو الأخذ عن المشايخ.
- والحفظ: لا يُغنى عن المشـافهة؛ لأن فى القراءة شـيئًا لا يحكم إلا بالسـماع عن الشـيخ ومشافهته، بخلاف الرواية فى علم الحديث فيُكْتَفَى فيها بالسماع من لفظ الشيخ؛ لأن المقصود هنا حسن الدراية وكمال العلم والثقة والأمانة فى النقل.
- ولكل راوٍ طريقان؛ فمثلًا قالون من طريقين: أبى نشيط والحلْوانى.
- الطريق مأخوذ من الراوى.
- الوجه هو تخيير القارئ أن يقرأ بأكثر مِنْ قراءة.

مثل: إثبات البسملة بين السورتين لِمَنْ بسمل، فليس قراءة ولا رواية ولا طريقًا، بل هو وجه إذا أتى به القارئ أجزأه فى تلك الرواية[٣].

الأداء القرآنـي: نطـق الحـروف فى تـلاوة القرآن الكريـم نطقًا خاصًـا -يعتمد على المشـافهة والتلقـى- وإخـراج الحروف مـن مخارجهـا، وإعطاؤها صفاتهـا الخاصة والعامة. وفعله: أدَّى تأدية، إذا أوصل الشىء إلى منتهاه وغايته.

(١) انظر: الفرق بينها وبين التلاوة / ٦٤.

(٢) انظر: الشروط الواجبة في القارئ/ ٦٤.

(٣) غانم قدوري: فى رسم المصحف / ٣٩٨. والطرازات المعلمة / ٢٥٠.

٣- توجيه اختلاف القراءات:

اختلفت القراءات للأمور التالية:

أولاً: اختلاف لهجات العرب[١]:

ذلك لأن جزيرة العرب كانت مترامية الأطراف وقبائلها متعددة، ولكل قبيلة لهجتها الخاصة التى يصعب عليها النطق بغيرها، والقرآن جاء للناس أجمعين، وكان من العسير أن يُلْزَمَ العرب بطريقة واحدة فى النطق، ومن هنا كانت هناك قراءات كثيرة على وَفْق بعض اللهجات العربية، ومن أمثلة ذلك:

١- قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ ﴾[٢]. قرأ عاصم وحمزة من غير همز مع تسكين الهاء على التسهيل وهى لغة الحجاز، وقرأ ابن كثير وهشام «أرجئهُ» بالهمز وضم الهاء مع وصلها بواو على التحقيق وهى لغة تميم[٣].

٢- قال تعالى: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾.[٤] قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بألف بعد السين من غير همز؛ أى: بالتسهيل على لغة الحجاز، ووافقهم اليزيدى والحسن، وقرأ الباقون على الأصل بالهمزة المفتوحة بالتحقيق على لغة تميم[٥].

٣- قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.[٦] قرأ الجمهور: (أعطيناك) بالعين، وقرأ الحسن وطلحة وابن محيصن والزعفرانى: (أنطيناك) بالنون، وهى قراءة مروية عن الرسول ﷺ، وإبدال العين نونًا إذا جاورت الطاء لهجة تعرف بالاستنطاء، وقد نُسِبَتْ لسعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار وأهل اليمن[٧].

---

(١) أى: لهجات قبائل العرب مثل: قريش وهذيل وتميم فى صفاتها الكلامية المميزة لكل قبيلة عن الأخرى.
(٢) الأعراف: من الآية/ ١١١.
(٣) انظر: التيسير / ٨٥.
(٤) سبأ: من الآية/ ١٤.
(٥) انظر: الإتحاف / ٣٥٨.
(٦) الكوثر: ١.
(٧) انظر: الكشاف ٤/ ٢٣٧، والقراءات واللهجات/ ١٢٣ عن البحر.

ومن هنا يقول الجزري: «وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتُهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها ومن حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة ومن لم يقرأ كتابًا، كما أشار إليه ﷺ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع»(١).

وفى الجانب الآخر نجد أن هناك قراءات كثيرة أيضًا قد وردت ولا صلة لها باللهجات، ومن أمثلة ذلك:

١- قال تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾(٢) قرأ أبو بكر، وحمزة والكسائى وخلف (عملت) بغير هاء، موافقة لمصاحفهم، والباقون بالهاء موافقة لمصاحفهم.

٢- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(٣). اختُلف فى إثبات (هو) فنافع وابن عامر وأبو جعفر بحذفها، والباقون بإثباتها.

٣- قال تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾(٤)، قرئ بزيادة (من) وقرئ بحذفها، وهى فى المصحف المكى بزيادة (من) وفى غيره بحذفها.

٤- قال تعالى: ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (٥)، اختلف فى (أشد منهم قوة)، فابن عامر (منكم) بالكاف موضع الهاء التفاتًا إلى الخطاب، والباقون (منهم) بضمير الغائب لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾.

٥- قال تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٦) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء على الخبر، عطفه على ما قبله، والباقون بكسرها على الأمر(٧).

---

(١) النشر ١ / ٢٢.

(٢) يس: ٣٥.

(٣) الحديد: ٢٤.

(٤) التوبة: ١٠٠.

(٥) غافر: ٢١.

(٦) البقرة: ١٢٥.

(٧) انظر: القراءات واللهجات/ ١٢٧، ١٢٨ عن الإتحاف.

ثانيـــــًا:

الخـط الذى كُتـب به المصحف -أولًا- دون شـكل أو نقط يؤكـد لنا توجيه بعض القراءات كما فى (فتبينوا)[(١)]، قُرِئَتْ: (فتثبتوا) [(٢)]، والفرق بين الكلمة فى القراءتين هو اختلاف النقط.

ومـن تحريفـات الشـكل مـا يمكن أن يكـون فى قولـه تعالـى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[(٣)]، يقـرأ برفع (آدم) ونصـب (كلمات) وبالعكس[(٤)]، وكذا قـراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[(٥)]، برفـع لفـظ الجلالة ونصب العلمـاء، والأخيرة من القراءات الشاذة[(٦)].

هذا وغيره من القراءات القرآنية التى لم يتواتر فى قراءتها أكثر من وجه، أما الألفاظ القرآنيـة التى تواتـر فى قراءتها أكثر من وجه صحيح «وتعذر رسـمه فى الخط محتملًا لجميـع الوجـوه كان لابد أن يُلجئ الناسـخين إلـى كتابته فى بعـض المصاحف بوجه وفى بعضها الآخر بوجه ثانٍ كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[(٧)]؛ فقد تواتر فيه وجهٌ آخـر صحيح: «وأوصـى»[(٨)] بالهمز لا بالتضعيف، ولذلـك كتب فى بعض المصاحف العثمانية بالتضعيف وفى بعضها الآخر بالهمز»[(٩)].

ثالثـــــًا:

طريقـة حفـظ القـرآن الكريـم فـى الصـدور أولًا، ثـم كتابته فـى الرقاع والعسـب، وقراءتـه ﷺ لأصحابه، وقراءة أصحاب الرسـول بعضهم بعضًا -كل ذلك كان توجيهًا

---

(١) الحجرات: من الآية/ ٦.

(٢) هى قراءة ابن مسعود كما فى الكشاف ٤/ ٨.

(٣) البقرة: من الآية/ ٣٧.

(٤) إملاء ما مَنَّ به الرحمن للعكبرى١/ ٣١.

(٥) فاطر: من الآية/ ٢٨.

(٦) السابق نفسه ٢/ ٢٠٠.

(٧) البقرة: من الآية/ ١٣٢.

(٨) الإقناع ٢/ ٦٠٤.

(٩) مباحث فى علوم القرآن / ٨٦، والإتقان ٢/ ١١٧.

لاختلاف بعض القراءات، يقول د. الراجحى: «لكن السبب الرئيس عندنا فى اختلاف القراءات هو ما نفهمه من طبيعة القراءات ذاتها ومن طبيعة المجتمع الإسلامى الأول، فالقرآن أخذ بالمشافهة أولًا بين الرسول وجبريل من ناحية، ثم بين الرسول وصحابته من ناحية أخرى، ومع كتابته له فى الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف وجد الاختلاف على ما رأينا من قبل، وعاش الصحابة مع الرسول يقرءون فيختلفون، واشتهر من بينهم نفر كثير، ذكر منهم أبو عبيد القاسم بن سلام، فى كتاب «القراءات»: الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالمًا...»[١].

❊ ❊ ❊

(١) اللهجات العربية فى القراءات/ ٧١.

نشأة علم القراءات

لا ريب فى أن علم القراءات هو أقدم العلوم التى نشأت لخدمة القرآن الكريم، وإن لم يُدَوَّن هذا العلم فى صدر الإسلام؛ لأن القرآن الكريم كان محفوظًا فى الصدور، وكان حافظ القرآن يسمى قارئًا؛ تمييزًا له عن غيره لأنهم كانوا أميين، وإذا عرفنا أن السبب الرئيس الذى دفع سيدنا عثمان ﷺ إلى جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد ما بلغه من اختلاف الصحابة فى قراءته[(١)] تأكد لنا أن هذا العلم قد نبتت بذوره قبل توحيد المسلمين على مصحف واحد هو المصحف العثمانى.

ثم بعد ذلك نسخ سيدنا عثمان ﷺ من هذا المصحف سبع نسخ، ووزعها على الأمصار: الكوفة، والبصرة، والشام، والمدينة، ومكة، واليمن، والبحرين[(٢)].

وبمرور الزمن أصبح لأهل كل مصر من هذه الأمصار قراءة خاصة يتبعون فيها قارئًا ويثبتون صحة قراءته بالتواتر عن الرسول ﷺ، واشتهر من هؤلاء القراء سبعة، وأصبحت قراءاتهم أصولًا لغيرها، وعرفت بالقراءات السبع نسبة لأصحابها، وهم:

١- عبد الله بن كثير المكى (ت ١٢٠هـ).

٢- عاصم بن أبى النجود الكوفى (ت ١٢٧هـ).

٣- عبد الله بن عامر اليحصبى الشامى (ت ١١٨هـ).

٤- على بن حمزة الكسائى الكوفى (ت ١٨٩هـ).

٥- حمزة بن حبيب الزيات العراقى الكوفى (ت ١٥٦هـ).

٦- أبو عمرو بن العلاء التميمى، توفى بالكوفة سنة ١٥٥هـ، وكان قارئ البصرة.

٧- نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى (ت ١٦٩هـ)[(٣)].

---

(١) انظر: المقنع فى رسم مصاحف الأمصار لأبى عمرو الدانى/ ١٣-١٥ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٢١٣.

(٢) مباحث فى علوم القرآن/ ٨٤.

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ١/ ٢١٣.

وبعـض العلماء يضيف إلى هؤلاء السـبعة ثلاثة، وهم: أبـو جعفر يزيد بن القعقاع، ويعقوب بن إسـحاق الحضرمى، وخلف بن هشام البزار، ويجعل القراءات الصحيحة عشرًا، وأجمع العلماء على أن ما عدا هذه القراءات العشر يُعد شاذًّا[١].

تدوين القراءات:

وظلـت القـراءات القرآنيـة تتناقل بالتواتر حتـى جاء عهد التدويـن، فنهض العلماء للتدوين فى القراءات الصحيحة والشاذة؛ للحفاظ عليها.

ومن أهم الكتب المؤلفة فى هذا الميدان:

١- أول إمام جمع القراءات فى كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) وجعلهم خمسة وعشرين قارئًا.

٢- وبعده أحمد بن جبير الكوفى (ت ٢٥٨هـ)، جمع كتابًا فى قراءات خمس، من كل مصر واحد.

٢- ثم إسماعيل بن إسحاق المالكى (ت ٢٨٢هـ) ألف كتابًا فى القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إمامًا منهم السبعة.

٤- ثم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ)، جمع كتابًا فيه نيف وعشرون قراءة.

٥- ثم الإمام أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، وهو أول من اقتصر على قراءات الأئمة السبعة، أو أول مَنْ سَبَّع السبعة وشذَّذ ما عداها[٢].

٦- ثم ألف محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ) كتاب «الإيضاح فى الوقف والابتداء».

٧- ثم ألف الإمام أبو الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢هـ) كتابه الشهير «المحتسب فى تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها».

---

(١) مباحث فى علوم القرآن/ ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) انظر: اللهجات العربية، دكتور/ عبده الراجحى / ٧٤.

٨- ثم ألف الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، كتابيه: (التيسير، وجامع البيان).

٩- ثم ألف محمد بن فيرة الشاطبى (ت ٥٩٠هـ) منظومة سماها «حرز الأمانى ووجه التهانى فى القراءات السبع».

١٠- ثم ألف ابن الجزرى (ت ٨٣٣هـ) كتابين فى القراءات: أحدهما منظومة سماها: «المقدمة الجزرية فى علم التجويد»، والثانى: كتابه المشهور المسمى «النشر فى القراءات العشر».

١١- ثم ألف الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الدمياطى الشافعى الشهير بـ «البنَّاء» (ت ١١١٧هـ) كتابه «إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر».

إلى غير ذلك من المؤلفات التى لا تزال مستمرة حتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، ومنها هذا الكتاب.

***

القراءات الصحيحة (القراءات السبع) والشاذة (ما عداها)[١]

ذكر علماء القراءات أن القراءة الصحيحة هى كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر.

فكل قراءة تحققت فيها الأركان السابقة هى قراءة صحيحة ويجب قبولها، ومتى لم تتحقق الأركان السابقة أو ركن منها فى قراءة فهى شاذة ومردودة.

والمراد بقولهم: وافقت اللغة العربية، أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو؛ سواء أكان أفصحَ أو فصيحًا مثل قراءة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]، بجر الأرحام عطفًا على الضمير المجرور فى (به).

والمراد بقولهم: وافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، أن تكون ثابتة ولو فى بعضها كقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣] بحذف الواو من ﴿وَسَارِعُوا﴾، فهى ثابتة فى المصحف المدنى والشامى.

أما التواتر فهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك، من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ[٤].

وقد أجمع العلماء على أن القراءات السبع السابقة ينطبق عليها مفهوم القراءة الصحيحة، وأن ما عدا هذه السبعة يُعدُّ شاذًّا ولا يتفق مع مفهوم القراءة الصحيحة، وأما الثلاث المكملة للعشر فقد اتفق أكثر العلماء على أنها صحيحة كذلك.

---

(١) سبق أن ذكرنا أن القراءات الصحيحة عشر بإضافة ثلاث قراءات إلى هذه السبع. راجع ص ١٨.

(٢) النساء: الآية/ ١.

(٣) آل عمران: من الآية/ ١٣٣.

(٤) ينظر: كتابنا «مقدمة فى أصوات اللغة العربية» / ١٢٥.

مصادر القراءات:

القراءات القرآنية التى وصلتنا أساسها المصادر الآتية:

١- حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»[١].

٢- الاختلافات التى حدثت بين الصحابة فى القراءة فى عهد الرسول ﷺ وكان حَكَمًا فيها.

٣- الاختلافات التى حدثت بين الصحابة فى عهد عثمان رضي الله عنه وكانت حاملًا له على جمع المصحف الإمام.

٤- الاختلافات التى رويت بين المصاحف العثمانية التى أُرسلت إلى الأمصار.

٥- الروايات التى رُويت عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ونقلها ثقات الأئمة، وتلقتها الأمة بالقبول، وتوافرت فيها شروط القراءة الصحيحة[٢].

* * *

---

(١) تحدثت بالتفصيل عن هذا الحديث فيما يأتى: ٢١ وما بعدها.

(٢) المصادر من ٢- ٥ تحدثت عنها بإيجاز فى موضوع: رسم المصحف ليس توقيفيًا ص٣٨، وانظر القراءات واللهجات ص: ٥، ٩١ وما بعدها.

علاقة اللهجات بالقراءات

اللهجات العربية تتصل اتصالًا وثيقًا بالقراءات القرآنية، وأصدق دليل على ذلك أننا حين نتحدث عن مصادر اللهجات نجد أن أولها وأوثقها: القراءات؛ لما يأتى:

١- نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ بلغة فصحى منتقاة من لهجة قريش ولهجات قبائل عربية أخرى، وعلى هذا فالقراءات القرآنية أتت ممثلة لهذه اللهجات؛ لأن قراء القرآن كانوا من جزيرة العرب التى اشتملت على هذه القبائل، وبذلك تتولد الصلة بين القراءات واللهجات.

٢- وثاقة منهج القراءات فى طريقة نقلها؛ حيث إن الرسول ﷺ تلقى الوحى من رب العزة - جل وعلا - وكان يعرضه على جبريل ويقرؤه على أصحابه وهم يقرءون عليه أيضًا، ومن هنا رأينا صحة منهج القراءات عن غيرها، كالحديث والشعر والنثر.

وفى الجانب المقابل نجد أن من أهم مصادر القراءات حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه»، وهذا الاستشهاد يصح على رأى من فسر «الأحرف السبعة» بسبع لغات أو لهجات، كما ذهب إلى ذلك أبو عبيد وثعلب وغيرهما عن أبى حاتم: «نزل القرآن بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر»، وإن كان هذا الرأى مردودًا[١].

يتضح لنا - مما سبق - الصلة القوية بين القراءات واللهجات، فكلتاهما مصدر أصيل للآخر لا يستغنى عنه، يضاف إلى ذلك أن القراءات القرآنية غنية بنسبة كثير منها إلى لهجات عربية تُقوِّى القراءة وتوثقها، ومن أمثلة ذلك فى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[٢] قال أبو حيان: «وأمال حمزة والكسائى (الهدى) وهى لغة تميم، والباقون بالفتح وهى لغة قريش»[٣].

(١) راجع - فيما يأتى ص٢٤ وما بعدها.

(٢) البقرة: من الآية / ١٦.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٧١ وراجع: الحجة لأبى على الفارسى ٢/ ١٤٥ والمحتسب ١/ ٥٥.

حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»

(تحليل وتوجيه)

أولا: توثيق الحديث:

ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى[١] بروايتين من باب «أنزل القرآن على سبعة أحرف» نذكر منهما الرواية التالية:

حدثنا سعد بن عفير... أن المِسْوَر بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبدٍ القارِىِّ حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروفٍ كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلَبَبْتُهُ بردائه، فقلت: مَنْ أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ذلك، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: أرسله: اقرأ يا هشام: فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التى أقرأنى، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت؛ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه».

كما ورد لهذا الحديث روايات متعددة فى فيض القدير للمناوى[٢]، ومن هنا أجمع العلماء على صحة هذا الحديث، وقال السيوطى: «ورد حديث: نزل القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة: أبى بن كعب، وأنس، وحذيفة... إلخ»[٣].

---

(١) انظر: صحيح البخارى ٣/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) ٣/ ٥٣، ٥٤، ٥٥ عن البخارى وأحمد فى مسنده، والترمذى والطبرانى فى الكبير.

(٣) الإتقان ١/ ٦١.

ثانيًا: دراسة الحديث:

يمكن حصر الكلام عن هذا الحديث في الأوجه التالية:

١- حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

لا شك أن هذا الحديث من تخفيف الله على عباده ورحمته بهم، وذلك شرف لهم وخصوصية لفضلهم وإجابة لقصد نبيهم ﷺ؛ حيث أتاه جبريل عليه السلام فقال له: «إن الله يأمرك أن تُقرِئ أمتك القرآن على حرف، فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومعونته، إن أمتي لا تطيق ذلك، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف». يضاف إلى ذلك أن النبي ﷺ بعث إلى جميع الخلق؛ أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا كما أشار إليه ﷺ، فلو كُلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع»[1].

وقال ابن قتيبة: «فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرئ كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم؛ فالهذلي يقرأ: (عتى حين) يريد (حتى) هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ: (تِعْلمون، وتِعْلم، وتِسْود وجوه، وألم إِعْهد إليكم)، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ: (قيل لهم، وغيض الماء) بإشمام الضم مع الكسر...

ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزول عنه لغته وما جرى عليه اعتياده طفلًا وناشئًا وكهلًا لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعًا في اللغات ومتصرفًا في الحركات؛ لتيسيره عليهم في الدين»[2].

---

(١) النشر ١ / ٢١، ٢٢ ، وجامع البيان لأبي عمرو الداني / ٦.

(٢) المشكل / ٣٩، ٤٠ ، وعنه في النشر ١/ ٢٢، ٢٣.

٢- معنى «الأحرف»:

الأحرف جمع حَرْف، مثل: فَلْس وأفْلُس.

والحرف في الأصل: الطرف والجانب، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء.

والحرف: الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم، والفعل بالفعل؛ كعَنْ وعلى.

والحرف: الوجه، وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفًا، نقول: هذا في حرف ابن مسعود، أي: في قراءة ابن مسعود.

والحرف: القراءة التي تقرأ على أوجه[١].

أما معنى «سبعة أحرف» في الحديث، فقد ذكر السيوطي نحو أربعين قولا[٢]، نذكر منها هنا ما نراه مناسبًا لموضوعنا:

الأول: ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد بحيث لا يزيد ولا ينقص، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة، ولفظ «السبعة» يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد، كما يطلق «السبعون» في العشرات، والسبعمائة في المئين، ولا يُراد العدد المعين. وهذا رأي بعض العلماء كَعِياض ومَنْ تبعه.

ولا يَسْلم هذا الرأي من الرَّدِّ عليه؛ لأن روايات الحديث تؤكد أن العدد مُرَاد ومُحَدَّد، بدليل رواية ابن عباس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف، فهذا يدل على إرادة حقيقة العدد وانحصاره.

الثاني: أن المراد بها سبع قراءات، وأصحاب هذا الرأي توهموا أن الأحرف هي القراءات، ولفظ السبعة مشترك بينهما.

---

(١) اللسان: حرف.

(٢) انظر: الإتقان ١/ ٦١- ٦٧ ، وجامع البيان لأبي عمرو الداني/ ٥ بتصرف.

والحقيقة: أن لفظ «السبعة» مجرد مصادفة؛ لأنه وقت نزول الحديث ما كانت القراءات السبع معروفة؛ لأن الذى سَبَّع السبعة هو ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أى فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى.

يضاف إلى ذلك أنه لا يوجد فى القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا القليل مثل: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(١)، و﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾(٢)، كما أنه توجد كلمات تقرأ على أكثر من سبعة أوجه.

الثالث: أن المراد بها سبع لغات أو لهجات، وإليه ذهب أبو عبيدة وثعلب والزهرى وآخرون.

وهنا كلام كثير؛ فقد رُدَّ على هذا القول بأن لغات العرب أكثر من سبع، وأجيب عن ذلك بأن المراد أفصحها، رُوى عن ابن عباس: نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العَجُز مِنْ هوازن، قال: والعجز سعد بن بكر وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، ويقال لهم: عليا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عليا هوازن، وسفلى تميم، يعنى بنى دارم، وقال أبو حاتم السجستانى: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن، وسعد بن بكر، وقال أبو عبيد: ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مُفَرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم.

ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولًا بلسان قريش، ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التى جرت عاداتهم باستعمالها عن اختلافهم فى الألفاظ والإعراب، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة.

(١) المائدة: من الآية/ ٦٠.

(٢) الإسراء: من الآية/ ٢٣.

واستشكل على هذا الرأى أنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات، وأجيب عن ذلك بأنه إنما يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة فى لفظ واحد، وأن جبريل كان يأتى فى كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة.

وأخيرًا فقد رُدَّ هذا القولُ بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشى من لغة واحدة، وقبيلة واحدة، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه لغته، فدل هذا على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات.

الرابع: المراد بها سبعة أصناف، وقد اختلف القائلون به فى تعيين السبعة فقيل: أمر ونهى، وحلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال. واحتجوا بما أخرجه الحاكم والبيهقى عن ابن مسعود عن النبى ﷺ كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زجر وأمر... إلخ.

وقد أجيب عنه بأنه ليس المراد بالأحرف السبعة التى ذكرها فى الأحاديث الأخرى؛ لأن سياق تلك الأحاديث يأبى حملها على هذا، بل هى ظاهرة فى أن المراد أن الكلمة تقرأ على وجهين وثلاثة إلى سبعة تيسيرًا، والشىء الواحد لا يكون حلالًا وحرامًا فى آية واحدة، ولأنه لا يجوز أن يُقرأ القرآن على أنه حلال كله أو حرام كله... إلخ.

وقيل المراد بها: المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه.

وقيل المراد بها سبعة علوم: علم الإنشاء والإيجاد، وعلم التوحيد والتنزيل، وعلم صفات الذات، وعلم صفات الفعل، وعلم صفات العفو والعذاب، وعلم الحشر والحساب، وعلم النبوات.

وهذه الأقوال غير صحيحة، فإن الصحابة الذين اختلفوا وترافعوا إلى النبى ﷺ كما ثبت فى حديث عمر وهشام وأُبَىّ وابن مسعود وغيرهم، لم يختلفوا فى تفسيره وأحكامه، وإنما اختلفوا فى قراءة حروفه[1].

---

(١) النشر ١/ ٢٥.

تعقيـــب:

ما ذكرته من تفسـير لمعنى «سـبعة أحرف» هو أهم ما قيل من تفسـير لها، وقد تبين لنا مما سبق:

- أن تفسير «الأحرف السبعة» بالكثرة غير مناسب لطبيعة الحديث والحكمة منه.
- وتفسير «الأحرف السبعة» باللهجات ضعيف؛ لأنه مهما قيل فى أن المراد بها اللهجات السـبع، فـإن الواقع العملى يأباه؛ لأن هناك لهجات كثيرة نـزل بها القرآن غير ما ذكر، وقد ذكر ابن عباس فى كتاب اللغات فى القرآن تسعًا وعشرين قبيلة، تنتمى إلى أصول كثيرة تزيد على السـبع، منها: أهل عمان، أزد شـنوءة، خثعم، طيِّئ، سبأ، أهل اليمامة، العمالقة، سدوس، أهل العشيرة(١).
- كما أن تفسير «الأحرف السبعة» بالقراءات ضعيف جدًّا.
- وتفسـير «الأحرف السـبعة» بالأصناف وغيرها غير مناسـب أيضًا لطبيعة الروايات التى رُوِىَ بها الحديث.
- والـرأى الـذى أميل إليه، وتُحقق به التوسـعة على الأمة، وقد اسـتقر عليـه العلماء(٢)، أنـه مهـما كان التغايـر والتنوع فى قراءة اللفـظ القرآنى فإنه ينبغـى ألَّا يكون فيه تضاد ولا تنافٍ للمعنى، ولا إحالة ولا فساد، ولا يخرج التغاير أو الاختلاف فى اللفظ عن الوجوه السبعة الآتية:

الأول: اختـلاف الأسـماء مـن: الإفـراد والتثنيـة والجمـع، والتذكيـر والتأنيـث، والمبالغة، وغيرها.

---

(١) انظر: اللغات فى القرآن رواية ابن عباس / ٧، ٨.

(٢) انظر: جامع البيـان لأبى عمـرو الدانـى / ١٣، مباحث فى علـوم القـرآن/ ١٠٩-١١٣، والنـشر١/ ٢٦-٢٨، فى اللهجات العربية/ ٥٧، والإتقان١/ ٩٩-١٠٢، والمشكل/ ٢٦-٢٨.

من أمثلة ذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[١]؛ حيث قرئ: (لأمانتهم)[٢]، وواضح من هذه القراءة أن مَنْ أفرد قصد الجنس الذى يشمل كل الأمانات فهى موافقة لقراءة الجمع.

ومنه تذكير «البقر» وتأنيثه تبعًا للقراءة فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾[٣]، بصيغة الفعل الماضى (تَشَابَهَ) مرادًا به التذكير. وبصيغة الفعل المضارع مؤنثًا (تَشَابَهُ) بعد حذف إحدى التاءين تخفيفًا إذ أصله (تتشابه)[٤].

ومنه: ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾[٥] قراءة حمزة والكسائى وخلف بكسر السين وإسكان الحاء بلا ألف، أى: كيد ذى سِحْر أو هم نفس السحر على المبالغة ووافقهم الأعمش، والباقون بفتح السين وبالألف وكسر الحاء اسم فاعل من سحر، وأفرد من حيث إن فعلهم نوع واحد من السحر[٦].

الثانى: اختلاف فى وجوه الإعراب، سواء أتغير المعنى أم لم يتغير، فما تغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[٧]، فقد قرئ: (فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٌ)[٨]، ومما لم يتغير فيه المعنى مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٩] فقد قرئ: (وَلا يُضَارُّ)[١٠].

(١) المؤمنون/ ٨، المعارج / ٣٢.
(٢) الإتحاف/ ٣١٧.
(٣) البقرة: ٧٠.
(٤) انظر: الإتحاف/ ٣١٩.
(٥) طه جزء من الآية: ٦٩.
(٦) انظر: الإتحاف/ ٣٠٥.
(٧) البقرة: من الآية/ ٣٧.
(٨) الإتحاف/ ١٣٤.
(٩) البقرة: ٢٨٢.
(١٠) بضم الراء على النفى، الإتحاف/ ١٦٦.

الثالث: الاختلاف فى بنية الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو: ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ (نَنْشُرُها)[١]، ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ فَـزَّع[٢]، .أو يغير صورتها دون المعنى مثل: (الصراط والسراط)[٣]، وقد رسم فى المصاحف بالصاد المبدلة من السين التى هى الأصل، فوافقت قراءة الصاد رسم المصحف تحقيقًا، وقراءة السين رسم المصحف تقديرًا.

الرابع: الاختلاف بإبدال كلمة بأخرى يغلب أن تكون إحداهما مرادفة للأخرى، كما فى قوله تعالى: ﴿كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ﴾[٤]، فقد قرئ: (كالصوف)[٥] أو يكون بين الكلمتين المبدلتين تقارب فى مخرج أحد حروفهما، كما فى: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ﴾؛ حيث قرئ: (طلع)[٦]، والحاء والعين من مخرج واحد.

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير، وليس المراد هنا بالتقديم والتأخير ما يكون فى الكلمة الواحدة من تقديم بعض حروفها على بعض، وإنما المراد ما يكون التقديم والتأخير فيه فى الصيغة أو الكلمة، أى تقديم صيغة على أخرى أو كلمة على أخرى.

ومثل ذلك ما جاء فى قوله تعالى: ﴿فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ﴾[٧] قرئ: (فيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ)[٨]، ففى القراءة الأولى يسرع المؤمنون إلى قتل الأعداء، وفى القراءة الثانية يتلهفون إلى ساحة المعركة تلهفًا لعل الله يتخذهم شهداء، وإن اختلفت صياغة التعبير بالقراءتين فالمعنى فيهما متقارب.

---

(١) البقرة: ٢٥٩، والإتحاف/ ١٦٢.

(٢) سبأ: ٢٣، والإتحاف/ ٣٥٩، ٣٦٠.

(٣) انظر: الإقناع ٢/ ٥٩٥.

(٤) القارعة: ٥.

(٥) هى قراءة ابن مسعود، انظر: الكشاف ٤/ ٣٠.

(٦) الواقعة: ٢٩، والكشاف ٤/ ٥٨.

(٧) التوبة: من الآية/ ١١١.

(٨) الكشاف ٢/ ١٧٣، والإقناع ٢/ ٦٥٨.

ومـن ذلك قراءة ابن مسـعود وأبى بكر: (وجاءت سـكرة الحق بالمـوت) فى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[١].

السـادس: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان جريًا على عادة العرب فى حذف أدوات الجر والعطف تارة، وإثباتها تارة أخرى. وذلك يكون فى أحرف قليلة محدودة، مع التنبيه على شذوذ كل ما لم يحفظه الأئمة الثقات منها.

فمن الزيادة قوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[٢] قرئ: (من تحتها الأنهار)، وهما قراءتان متواترتان، وقد وافق كل منهما رسم مصحف الإمام[٣].

ومـن النقصان قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ [٤] بغير واو، وقد وافقت رسم المصحف الشامى والحجازى[٥].

أمـا مـا جاء من حذف كلمـة أو زيادتها فهى قراءات أحاديـة، لا تدخل فى الأحـرف السـبعة. ومنها قراءة ابن عباس: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾[٦] بزيادة (صالحة) وإبدال كلمة (أمام) من كلمة (وراء) فلا يثبت بمثلها قرآن[٧].

السـابع: اختلاف اللهجات فى الفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وكسـر حروف المضارعة وقلب بعض الحروف وإشـباع ميم الذكورة وإشـمام بعض الحركات والإدغام والإظهار، ونحو ذلك.

---

(١) ق: ١٩، والكشاف ٤/ ٢١.

(٢) التوبة: من الآية/ ١٠٠.

(٣) قراءة «من تحتها» لابن كثير وهى فى مصاحف أهل مكة خاصة. انظر: الإقناع ٢/ ٦٥٨، والمصاحف / ٥٧.

(٤) البقرة: من الآية/ ١١٦.

(٥) وهى قراءة ابن عامر. انظر: الإقناع ٢/ ٦٠١، والمصاحف / ٥٥.

(٦) الكهف: من الآية/ ٧٩.

(٧) الإتقان ١/ ١٠١.

ومـن ذلـك قولـه تعالـى: ﴿مَكَانًا سُوًى﴾[1] بضـم السين، قـراءة ابـن عامـر وعاصم وحمـزة، ووقف بالإمالة عليه وعلى {سُـدًى} [القيامة: ٣٦] أبو بكر وحمزة والكسـائى وورش وأبـو عمـرو على أصلهمـا بين بيـن، والباقون بالفتـح على أصولهـم[2]، وقرأ {قِيلَ} [البقرة:١١، ١٣]، {وَغِيضَ} [هود: ٤٤] بالإشمام[3] الكسائى وهشام.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[4]، قَرَأ بإسـكان الـزاى والهمز (هُزْؤًا) حمزة، وإذا وقـف حذف ونقل، هـذا هو المختار، وبالضـم وإبدال الهمـزة واوًا حفص، والباقون بالضم والهمز[5].

وقـراءة قولـه تعالـى: ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[6] بترقيـق الراءيـن، والصـلاة والطـلاق بتفخيم اللامين.

وقـراءة قولـه تعالى: (لقـوم يِعْلمون، نحـن نِعْلم ، تِسْـوَدّ وجوه، ألم إعْهَد) بكسر حروف المضارعة فى كل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾[7]، فالهذليون يقرءون: (عتى حين)، بقلب حاء (حتى) عينًا.

وقوله تعالى: (عليهمو دائرة السوء) (ومنهمو مَنْ يَلْمِزك فى الصدقات) بإشمام ميم جمع الذكور فى كلتا الآيتين[8].

ونلاحظ على الوجه الأخير أنه أوسع وأشـمل من الأوجه السـابقة عليه، وتتحقق به السـعة والتيسـير مع اختلاف اللهجات، وهى الحكمة الأساسـية من حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

(١) طه: ٥٨.
(٢) الإقناع ٢/ ٦٩٩.
(٣) أى بإشمام كسر أوائلها الضم، وقرأ الباقون بإخلاص الكسر، الإقناع ٢/ ٥٩٧.
(٤) البقرة: من الآية/ ٦٧.
(٥) الإقناع ٢/ ٥٩٨، ٥٩٩.
(٦) الإسراء: من الآية/ ١٧، ٣٠، ٩٦.
(٧) يوسف: من الآية/ ٣٥.
(٨) انظر: مباحث فى علوم القرآن/ ١١٢، ١١٣.

يقول الدكتور/ صبحى الصالح: «والحق أن هذا الوجه الأخير أهم الأوجه السبعة؛ لأنه يبرز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن على سبعة أحرف؛ ففيه تخفيف وتيسير على هذه الأمة التى تعددت قبائلها، فاختلفت بذلك لهجاتها وتباين أداؤها لبعض الألفاظ، فكان لابد أن تُراعَى لهجاتها وطريقة نطقها، أما لغاتها نفسها فلا موجِب؛ لأن القرآن اصطفى ما شاء بعد أن صهره فى لغة قريش التى تمثلت فيها لغات العرب قاطبة»[١].

٣- هل هذه الأحرف متفرقة فى جميع القرآن؟

نعم، إنها متفرقة، بل فى كل رواية وقراءة باعتبارها سبعة أحرف، لا أنها منحصرة فى قراءة ختمة وتلاوة رواية، فمن قرأ - ولو بعض القرآن - بقراءة معينة اشتملت على الأوجه المذكورة، فإنه يكون قرأ بالأوجه السبعة التى ذكرناها دون أن يكون قرأ بكل الأحرف السبعة[٢].

كما أن هذه الأحرف السبعة - التى ذكرناها - تستقصى كل اختلاف فى أداء القرآن، ولا تعنى وجوب التزام هذه الأوجه السبعة فى الكلمة الواحدة، فقد يكون فى كل كلمة على حدة وجهان أو أكثر، وقد يكون فيها وجه واحد فقط، وإنما يُقْصَد أن هذه الأوجه السبعة تَرُدّ الاختلافات إلى أحد وجوهها المناسبة حين يتحقق وجود الاختلاف[٣].

٤- هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة؟

هذه مسألة خلافية، فقد ذهب جماعة من الفقهاء والمتكلمين والقراء إلى أن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وبنوا ذلك على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شىء من الحروف السبعة التى نزل بها القرآن، وقد أجمع الصحابة على نقل المصاحف العثمانية من الصُّحُف التى كتبها أبو بكر وعمر، وإرسال كل مصحف منها إلى مصر من أمصار المسلمين، وأجمعوا على ترك ما سوى ذلك.

---

(١) السابق نفسه.

(٢) النشر ١/ ٣٠.

(٣) انظر: مباحث فى علوم القرآن/ ١١٦، والإتقان ١/ ٦٦.

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التى عرضها النبى ﷺ على جبريل... قال ابن الجزرى: «وهذا القول هو الذى يظهر صوابه؛ لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له...

ولا شك أن القرآن نُسِخَ منه وغُير فى العرضة الأخيرة، فقد صح النص بذلك من غير واحد من الصحابة، وروينا بإسناد صحيح عن زر بن حبيش قال: قال لى ابن عباس: أى القراءتين تقرأ؟ قلت: الأخيرة، قال: فإن النبى ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن فى العام الذى قُبض فيه النبى ﷺ مرتين، فشهد عبد الله - يعنى: ابن مسعود- ما نُسِخَ منه وما بدل.

وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا فى هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن، وما علموه استقر فى العرضة الأخيرة وما تحققوا صحته عن النبى ﷺ مما لم ينسخ وإن لم يكن داخلًا فى العرضة الأخيرة، ولذلك اختلفت المصاحف بعض الاختلاف، إذ لو كانت العرضة الأخيرة فقط لم تختلف المصاحف بزيادة أو نقص وغير ذلك، وتركوا ما سوى ذلك، ولذلك لم يختلف عليهم اثنان، حتى إن على بن أبى طالب رضي الله عنه لما وَلِى الخلافة بعد ذلك لم ينكر حرفًا ولا غيَّره، مع أنه هو الراوى أن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرءوا القرآن كما علمتم، وهو القائل: «لو وليت من المصاحف ما ولى عثمان لفعلتُ كما فَعَل...»[1].

وأما ما يُروى من اختلاف مصاحف الصحابة للمصحف العثمانى فمن أسبابه أنه لم يبلغهم النسخ فاستمروا فى كتابته وقراءته قبل المصاحف العثمانية وإجماع الصحابة عليها... وكل ما جاء مخالفًا لها هو ما نسخ فى العرضة الأخيرة، أو هو من قبيل التفسير الذى يكتب مع النص، أو هو خبر آحاد لا يثبت به قرآن.

(١) النشر ١/ ٣١- ٣٣.

ومن الأوجه السبعة التى حدث فيها النسخ وجاءت مخالفة للمصحف العثمانى:

الوجه الأول: الاختلافات فى وجوه الإعراب، ومنه اختلاف الحركات مع اختلاف المعنى، مثل قراءة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[١] برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء على عكس القراءة المتواترة المعروفة، فهذه القراءة إما منسوخة بالعرضة الأخيرة، وإن وافقت العربية وخط المصحف، وإما منقولة آحادًا أو ناقلها غير ثقة، وعلى كل حال لا يثبت كونها قرآنًا بهذا القدر.

الوجه الثاني: ما جاء الاختلاف فيه بإبدال كلمة من أخرى، فقد نسخ فى بعض الآيات، وهو ما خالف رسم المصاحف، نحو قراءة: (فامْضُوا إلى ذكر الله) بدلًا من ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[٢].

تعقيـــب:

ونرى ما رآه أصحاب الرأى الأول؛ لأن المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف السبعة، وما جاء من الأوجه السبعة مخالفًا بزيادة كلمة أو نقص أخرى فليس بقراءة، ولا يصح أن يكون من الأحرف السبعة[٣].

٥- هل القراءات التى يُقرأ بها اليوم جمعت الأحرف السبعة أو بعضها؟

جواب هذا السؤال مبنى على الخلاف المتقدم، فإن مَنْ عنده أنه لا يجوز ترك شىء من الأحرف السبعة يرى أنها مستمرة النقل بالتواتر إلى اليوم، وإلا تكون الأمة جميعها عُصاة فى ترك ما تركوا منه.

يقول ابن الجزرى: «وأنت ترى ما فى هذا القول[٤]، فإن القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى كل ما كان مشهورًا فى الأعصار الأُوَل

---

(١) فاطر: من الآية/ ٢٨.

(٢) الجمعة: جزء من الآية ٩، وانظر: القراءات واللهجات: عبد الوهاب حمودة/ ٤٢ - ٤٤.

(٣) راجع ما سبق: ص٣٣.

(٤) أى من المبالغة والغلو.

قَلَّ مِنْ كَثْر ونَزْر مِن بَحْر، فإن مَنْ له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين، وذلك أن القـراء الذيـن أخذوا عـن أولئك الأئمـة المتقدمين من السـبعة وغيرهـم كانوا مما لا يُحْصـى... والذيـن أخـذوا عنهم أكثر وهلم جـرا، فلما كانت المائة الثالثة، واتسـع الخرق وقَلَّ الضبط... تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام»[١].

إذن فقد وضح مما سبق أن القراءات التى يقرأ بها اليوم جمعت الأحرف السـبعة. وأن الذى عليه أئمة التحقيق من السـلف والخلف: أن هناك مقياسًـا تقاس به القراءات اليوم، وهو قول ابن الجزرى: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت رسم أحد المصاحـف العثمانية ولو احتمالًا وصح سـندها فهى القـراءة الصحيحة التى لا يجوز ردُّهـا ولا يَحِـل إنكارهـا، بـل هى من الأحرف السـبعة التـى نزل بها القـرآن. ووجب علـى النـاس قبولها، سـواء أكانت عن الأئمة السـبعة أم عن العشـرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح»[٢].

وأما قول الناس: (قرأ فلان بالأحرف السبعة) فمعناه أن قراءة كل إمام تسمى حرفًا، كمـا يقال: قـرأ بحرف نافع أو عاصم أو ابن كثير أو ابن مسـعود وليس معناه: قرأ فلان بالأحرف السبعة التى نص عليها رسول الله ﷺ[٣].

❊ ❊ ❊

(١) النشر ١/ ٣٣، ٣٤.

(٢) انظر: القراءات واللهجات/ ٤٦، ٤٧.

(٣) أى فى الحديـث الشريـف: «إن هذا القرآن أنزل على سـبعة أحرف»، انظر: الإبانة عـن معانى القراءات لمكى بن أبى طالب/ ٤١، ٤٢.

رســـم المصحـــف

نعنـى برسـم المصحـف: الخـط المكتـوب بـه المصحـف الآن، المأخوذ عن الخط المكتوب به المصحف فى عهد سيدنا عثمان بن عفان ﷺ وهو الذى أجمع الصحابة عليه.

والمراد بالخط: الكتابة، وهو على قسمين: قياسى واصطلاحى؛ فالقياسى ما طابق فيـه الخـطُّ اللفظَ، والاصطلاحى: ما خالفه بزيـادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل، وله قوانين وأصول يحتاج إلى معرفتها(١).

وأكثـر خـط المصاحف موافق لتلـك القوانين، لكنـه قد جاءت أشـياء خارجة عن ذلك، يلزم اتباعها ولا يتعدى إلى سواها(٢)، منها ما عرفنا سببه ومنها ما غاب عنا(٣).

رسم المصحف ليس توقيفيًا:

رسـم المصحـف ليس توقيفيًّا (أى ليس من عنـد الله)، ولكنه مـن وضع الصحابة واصطلاحهم وتوقيفهم، والدليل على ذلك:

١ - أن من معجزات النبى ﷺ كونه أميًّا لا يكتب ولا يقرأ كتابًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَاكُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(٤). فكيف يُمْلِى - عليه الصلاة والسلام - زيد بن ثابت على حسب قواعد الكتابة والإملاء(٥)؟!

---

(١) انظر على سبيل المثال: باب الهجاء: لابن الدهان النحوى (ت ٥٦٩هـ) تحقيق د/ فائز فارس - ط مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٩٨٦م، والترقيم وعلاماته فى اللغة العربية: للعلامة/ أحمد زكى باشا - ط التوعية بمصر سنة ١٩٨٨م، وانتشار الخط العربى: لعبد الفتاح عبادة - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) ومن هنا قيل: خطان لا يقاس عليهما: خط المصحف والخط العروضى.

(٣) النشر ٢/ ١٢٨.

(٤) العنكبوت: ٤٨.

(٥) يرى البعض - وهو ضعيف - أن رسم المصحف توقيفى من عند رسول الله ﷺ، أما كونه ﷺ أميًّا لا يكتب ولا يقرأ فقد كان ذلك قبل البعثة، فلما جاء الوحى بقوله: «اقرأ» كان قارئًا كاتبًا، يشير إلى ذلك قوله تعالى فى الآية السابقة ﴿مِن قَبْلِهِۦ﴾ ومعجـزة الأميـة فى حقـه ﷺ أدت غرضها فى كون القـرآن الكريـم من عند الله - فهـو معهم وفيهم أربعين =

٢- لما اختلف زيد بن ثابت ومن معه في كلمة (التابوت)؛ أيكتبونها بالتاء أم بالهاء، رفعوا الأمر إلى عثمان ﷺ فأمرهم أن يكتبوها بالتاء، فلو كان الرسم توقيفيًّا بإملاء النبي ﷺ كما ظنه بعضهم لقال لهم زيد: إن النبي أمرني بكتابتها بالتاء، ولقال عثمان لزيد كاتب الوحي: اكتبها بالكيفية التي أملاك بها رسول الله ﷺ.

قول عثمان ﷺ لزيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - أثناء نسخ المصاحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش»، فلو كان الرسم توقيفيًّا لقال لهم عثمان: اكتبوه بما أملاكم به النبي ﷺ.

ومما يذكر هنا أن المهاجرين تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وتعلمها أهل الحيرة من أهل الأنبار.

٣- لو كان الرسم توقيفيًّا لما اختلف الرسم في المصاحف التي أرسلها عثمان ﷺ إلى المدن والأمصار.

= سنة قبل البعثة - حتى ينتفي تمامًا قولهم «دَرَسْتَ» قبل القرآن لتتأثر بهذه الدراسة كما ينتفي تمامًا قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾(النحل/ ١٠٣).

وجدير بالذكر أن أمية الرسول ﷺ معجزة في حقه ونقص في حق غيره، كما أن انتساب عيسى ﵇ لأمه معجزة في حقه نقص في حق غيره.

يقول الفخر الرازي في تفسيره (١٢/ ٤٠٩): «وهذا القرآن ممن لم يقرأ ولم يكتب عين المعجزة فيعرف كونه منزلًا، وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت/ ٤٨) فيه معنى لطيف، وهو أن النبي إذا كان قارئًا كاتبًا ما كان يوجب كون هذا الكلام كلامه، فإن جميع كتبة الأرض وقرائها لا يقدرون عليه، لكن على ذلك التقدير يكون للمبطل وجه ارتياب، وعلى ما هو عليه لا وجه لارتيابه فهو أدخل في الإبطال»، ويقول في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ (الأنعام/ ١٠٥) (جـ٦/ ٥٠٢، ٥٠٣): حكى الواحدي في «دَرَسَ الكتاب» قولين: الأول: قال الأصمعي: أصله من قولهم: درس الطعام إذا داسه.. والدارس: الدّيّاس بلغة أهل الشام، وقال: دَرَسَ الكلام من هذا أي يدرسه فيخف على لسانه، والثاني: قول ابن الهيثم: درست الكتاب أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «دارست» أي: قرأت على اليهود وقرءوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة، ويقوى هذه القراءة ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ (الفرقان: ٤)، وقرأ ابن عامر «دَرَسَتْ» أي هذه الأخبار التي تلوتها علينا قديمة قد درست.

وكان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وأتباعهم يوافقون الرسم المصحفى فى كل ما يكتبونه، ولو لم يكن قرآنًا ولا حديثًا، ويكرهون خلافه ويقولون لا نخالف الإمام، يريدون بذلك المصحف الذى كُتب بأمر الإمام عثمان، فإنهم كانوا يسمونه الإمام من حيث اتباعه رسمًا وغيره، واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء البصرة والكوفة، وأسسوا لهذا الفن ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية وسَمَّوها: علم الخط القياسى أو الاصطلاحى، وسموا رسم المصحف بالخط المُتَّبع، وقالوا: إن رسمه سنة متبعة مقصورة عليه، فلا يقاس على غيره ولا يقاس عليه[1].

آراء العلماء فى الالتزام بالرسم العثمانى فى كتابة المصحف:

للعلماء فى ذلك ثلاثة آراء:

(أ) الالتزام بالرسم العثمانى (خط المصحف) ولا تجوز مخالفته؛ وذلك لما روى من أن مالكًا - رحمه الله- سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا، إلا على الكتبة الأولى.

وسئل مالك أيضًا فقيل له: أرأيت من استكتب مصحفًا اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم؟ قال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى، قال أبو عمرو: ولا مخالف له فى ذلك من علماء الأمة وبالله التوفيق.

مما سبق نرى أن الإمام مالكًا - رحمه الله- رأى وجوب الالتزام بخط المصحف العثمانى لأحوال معانى الكلمات والقراءات فى أغلب الأحيان، وأيضًا لحكم خفية لا نعلمها الآن، وقد تظهر لنا بعد ذلك، وسيأتى توضيح ذلك.

(ب) يجوز مخالفة الرسم العثمانى فى كتابة المصحف؛ لأن رسم المصحف اصطلاحى لا توقيفى، وممن جنح إلى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته.

(١) انظر: القراءات واللهجات/ ١٠٠، ١٠١، ومباحث فى علوم القرآن/ ٧٨.

(جـ) يكتب المصحف لعامة الناس على الاصطلاحات المعروفة الشائعة عندهم؛ لئلا يقع فيه تغيير من الجهال، مع المحافظة على الرسم العثمانى عند الخاصة، ومن القائلين بهذا الرأى العز بن عبد السلام[1].

ونـــرى أن الرأى الصحيح والصواب هو الأول؛ لقوة حجته وأدلته.

لماذا اختلف رسم المصحف عن بعض القواعد المعروفة فى الكتابة؟

يرجع ذلك لعدة أمور أهمها:

١- القـــــراءات:

قال ابن الجـزرى: «فانظر كيف كتبوا (الصراط والمصيطـرون) بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التى هى الأصل؛ لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجـه قد أتـت على الأصل، فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملـة ولو كتب ذلك بالسين علـى الأصل لفات ذلـك، وعُدت قراءة غير السين مخالفة للرسـم والأصل، وكذلـك كان الخلاف فى المشـهور فى (بسـطة) الأعراف[2]، دون (بسـطة) البقرة[3]، لكـون حـرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعـراف بالصاد، علـى أن مخالف صريح الرسـم فـى حرف مدغـم أو مبـدل أو ثابـت أو محذوف أو نحـو ذلك لا يُعـد مخالفًا إذا ثبتـت القراءة به ووردت مشـهورة مسـتفاضة، ألا ترى أنهم لم يعـدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلنى) فى الكهف، وقراءة: (وأكون من الصالحين)، والظاء من (بضنين)، ونحو ذلك من مخالفة الرسـم المردود، فإن الخلاف فى ذلك يغتفر؛ إذ هو قريـب يرجع إلى معنى واحد وتُمشـيه صحة القراءة وشـهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخـلاف زيادة كلمـة ونقصانها وتقديمهـا وتأخيرها، حتى ولو كانـت حرفًا واحدًا من

(١) انظر: المقنع فى رسم مصاحف الأمصار/ ١٩، والتبيان فى تفسير غريب القرآن ص٢٧ هامش٣.

(٢) الأعراف: من آية/ ٦٩ (بصطة).

(٣) البقرة: من الآية/ ٢٤٧ (بسطة).

حـروف المعانى، فـإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسـوغ مخالفة الرسـم فيه، وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته[١].

ومن ذلك قول أبى شامة:

«رُسـمت (يـا أيهـا) فى جميـع القرآن بالألـف فى آخرهـا إلا فى مواضـع ثلاثة هى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ بالزخـرف، ﴿أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ بالنـور، ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ بالرحمـن. وكأنهـم أشاروا بذلك إلى جواز كتابتها على هذا الوجه؛ إما اجتزاءً بالفتحة عن الألف على قراءة الجماعـة، وإما علـى اللغة الأخرى التى قـرأ عليها ابن عامر بضم الهـاء فى الوصل كما يضم المنادى المعرفة، وهى لغة عربية حكاها الكسائى والفراء، قال الفراء: هى لغة بنى أسد، يقولون: «أيهُ الرجل أقبل»، وذلك أنهم شبهوا هذه الهاء بهاء الضمير فضموها»[٢].

وقـال الدانـى: «وكتبوا فـى كل المصاحـف فى يوسـف ﴿ءَايَـٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾، ﴿غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ فـى الموضعيـن، وفـى سـبأ: ﴿فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ﴾، وفى المرسـلات ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ بالتاء، وهذه المواضع تقرأ أيضًا بالجمع والإفراد»[٣].

السبب فى كتابة (بأييد) وأمثالها بياءين:

عُلـل هذا بزيـادة الياء، كما عُلـل بزيادة الألـف؛ بيانًا للهمزة كما زيـدت فى (مائة) والياء بعدها هى صورة الهمزة.

وذكـر بعضهـم[٤] أن الهمـزة بوقوعها بعد اليـاء خُففت تخفيف المتوسـطة مثل فئة (فيـه)، فسـقطت الهمزة من اللفـظ وخلفتها ياء خالصـة، فصارت (بِيَيْـد) ولـم يحذف الكُتّـاب رمز الهمزة بعد سـقوطها ويثبتوا رمز الياء التـى خلفتها فى حالة التخفيف، بل اكتفوا بزيادة رمز الياء دون أن يحذفوا الألف، ومن ثم بدت وكأنها كتبت برمزين.

---

(١) النشر ١/ ١٢، ١٣.

(٢) القراءات واللهجات/ ١٠٣، عن أبى شامة فى شرح الشاطبية.

(٣) المقنع / ٨٦.

(٤) غانم قدورى: فى رسم المصحف/ ٣٩٨، وراجع ص٤٨.

ويجوز هذا على رأى مَنْ يرى أن الرسم توقيفى؛ أى إلهام من الله، وهذا ضعيف كما سبق ومستبعد؛ لأنه لا يعقل أن يكون لكل كاتب ملك يوضح له الكتابة، بالإضافة إلى أن هذا الأمر لا يؤثر فى العقيدة؛ حيث إن ابن خلدون فى مقدمته أرجع ذلك إلى ضعف مستوى الكاتبين فى ذلك الوقت.

وأرى أن هذا الرسم قد يرجع لقراءات عرفت بين الصحابة ولم تصل إلينا، وقد تفسر بعد ذلك بدليل أن بعض الصحابة كان يكتب مصحفه بقراءة واحدة ويثبت القراءة الأخرى على هامش مصحفه فى مصحف آخر.

٢- السبب الواضح:

قال أبو عمرو: «واتفقت المصاحف على حذف الواو التى هى صورة الهمزة؛ دلالة على تحقيقها فى قوله: (الرُّءيا)، (رءياك)، (رءيى) فى جميع القرآن»[١].

وقال: «حدثنا أبو مسلم محمد بن أحمد الكاتب قال: حدثنا ابن الأنبارى قال: وحذفت الواو من أربعة أفعال مرفوعة، أولها فى «سبحان»: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾، وفى «عسق»: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾، وفى «القمر»: ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾، وفى «العلق»: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾. قال أبو عمرو: لم تختلف المصاحف فى أن الواو من هذه المواضع ساقطة، وكذا اتفقت على حذف الواو من قوله فى «التحريم»: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو واحد يؤدى عن جميع، وحذف الواو فى الأمثلة الأخيرة اكتفاء بالضمة عنها»[٢].

ومن ذلك قول أبى عمرو أيضًا:

«واتفق كتاب المصاحف على حذف الألف من الأسماء الأعجمية المستعملة نحو: (إبرهيم وإسمعيل وإسحق وهرون وعمرن ولقمن) وشبهها، وكذا حذفوها من: (سليمن وصلح وملك) وليست بأعجمية لما كَثُر استعمالها، فأما ما لم يستعمل من الأعجمية فإنهم أثبتوا الألف فيه نحو: (طالوت وجالوت ويأجوج ومأجوج)

(١) المقنع / ٨٦.

(٢) السابق/ ٤٢.

وشبهها، ورأيت المصاحف تختلف فى أربعة منها وهى: (هاروت وماروت وهامان وقارون)؛ ففى بعضها بالألف، وفى بعضها بغير الألف والأكثر على إثبات الألف، وفى كتاب "هجاء السُّنَّة" عن أهل المدينة: (هروت ومروت وقرون) بغير ألف رسمًا لا ترجمة، ووجدت فى مصاحف أهل العراق: (هامن) بألف بعد الهاء وفى كلها بغير ألف بعد الميم، فأما (داود) فلم يختلفوا فى رسمه بالألف فى كل المصاحف؛ لأنهم قد حذفوا من هذا الاسم واوًا فلم يحذفوا لذلك الألفَ منه، وكذلك (إسرائيل) رسم بالألف أيضًا فى أكثر المصاحف؛ لأنه قد حذفت منه الياء التى هى صورة الهمز، وقد وجدتُ ذلك فى بعض المصاحف المدنية والعراقية العُتُق القديمة بغير ألف، وإثباتها أكثر»[1].

٣- إجراء الوقف مجرى الوصل والعكس:

تاء التأنيث فى مثل: (الرحمة والنعمة والسنة والمرأة والكلمة واللعنة والمعصية) يوقف عليها بالهاء (رحمهْ)... فإذا كتبت بالتاء (رحمت)... إلخ، فهى من إجراء الوقف مجرى الوصل أو رعاية للأصل، وقيل إن ذلك لغة، وعلى هذه اللغة كتب فى المصحف: (إن شجرت الزقوم، وامرأت نوح، وامرأت لوط) وأشباه ذلك، فوقف عليها بالتاء نافع وابن عامر وعاصم وحمزة، ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائى[2].

ومن هنا، فإن كل هاء تأنيث فى الوقف هى تاء فى الأصل؛ منها ما رُسم فى المصحف على لفظ الوقف، ومنها ما رسم على لفظ الوصل بالتاء، فما كتب من ذلك بالهاء فلا حذف فى الوقف عليها كذلك؛ لأنها هى اللغة الفصحى والرسم موافق لها، وما كتب بالتاء فهو إجراء الوقف مجرى الوصل، أو هو لغة، أو هو رعاية الأصل كما سبق آنفًا.

(١) السابق/ ٢٩، ٣٠ وانظر: القراءات واللهجات / ١٠٥، ١٠٦.

(٢) انظر: حاشية الصبان ٤/ ٢١٤، والإقناع ١/ ٥١٦، ٥١٧.

قال أبو عمرو: واجتمع أيضًا كتّاب المصاحف على رسم النون الخفيفة ألفًا، وجملة ذلك فى موضعين: فى يوسف (٣٢) ﴿وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾، وفى العلق (١٥) ﴿لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾، وذلك على مراد الوقف.

وكذلك رسموا النون ألفًا لذلك فى قوله: (وإذًا لا يلبثون...، قد ضللتُ إذًا) وشبهه من لفظه حيث وقع، وذلك على مراد الوصل[1].

٤- الأثر التاريخى:

من المعلوم أن العربية لغة سامية، وقد تأثرت باللغات السامية الأخرى؛ كالعبرية والآرامية لا سيما فى الخط الذى كتبت به وهو الخط النبطى[2]؛ حيث إن المستشرقين وجدوا نقوشًا فى المناطق الشمالية من جزيرة العرب تحمل اسم جماعة تعرف بالنبط، وقد تبين لهم بعد الدرس والمقارنة أنها هى الأصل الذى تفرعت منه الكتابة العربية الإسلامية، والنبط قبائل عربية، وكانوا يكتبون بلهجة آرامية هى النبطية.

ومن مميزات الكتابة النبطية:

(أ) أن تاء التأنيث الملحقة بالأسماء تكتب كما كانت بالتاء وليست بالهاء، أو بما نسميها بالتاء المربوطة مثل «سنت».

(ب) أن الحركات الممدودة تحذف فى الكتابة الآرامية أى النبطية، كالألف، فيكتبون مثلًا «حارثة» «حرثة» أى بدون ألف، و«مالك» يكتبونها (ملك)، وهو ما نشاهد أثره فى رسم المصحف العثمانى[3].

يقول المستشرق برجشتراسر: «فأهم فرق بين الإملاء الآرامى والعربى أن استخدام الألف كحرف مد فى الإملاء العربى لا يقتصر على أواخر الكلمات فقط، بل يكون فى أواسطها أيضًا، وهذا ما نشاهده فى رسم القرآن الكريم، فكثير من الألفات المستعملة فى الإملاء العربى العادى لتأدية الفتحة الممدودة ساقط فى القرآن الكريم، نحو: فَعَلْنه،

(١) انظر: المقنع/ ٥٠، والقراءات واللهجات/ ١٠٧.

(٢) انظر: تاريخ اللغات السامية / ٦٩ وما بعدها.

(٣) انظر: القراءات واللهجات/ ١٠٨.

أى فعلناه، وكِتَبْ أى كتاب...» ثم يقول: «غير أن أصحاب الأيكة ترسم بالألف فى بعض المواضع، وبغيرها أى (أصحاب ليكة) فى بعضها، ولا ريب أن سبب ذلك هو أن بعض كتاب القرآن لم يكن يعرف (ليكة) بغير الألف واللام، فحذف همزة (الأيكة) قياسًا على حذف سائر الهمزات الواقع قبلها حرف ساكن أو الساكنة بعد حركة مع مد هذه الحركة نحو: بير ويوخذ[1]، وقال أبو شامة[2]:

«إبراهيم لفظ أعجمى، هو بالعبرانية بالألف (إبراهام)، وتصرفت العرب فيه فقالته بالياء، وجملة ما فى القرآن من لفظ (إبراهيم) تسعة وستون موضعًا، والمشهور عن أصحاب ابن عامر إثبات الألف فى ثلاثة وثلاثين موضعًا، وهو مكتوب فى مصاحف الشام فى ثلاثة وثلاثين موضعًا بالألف، ومن ذلك خمسة عشر موضعًا فى البقرة، وفى النساء ثلاثة: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وفى آخر الأنعام: ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾، وفى آخر براءة موضعان: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ﴾، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

وروى عن الأخفش أنه يقرأ مواضع بالألف ومواضع بالياء ثم ترك القراءة بالألف، وقال أبو بكر السلمى أيضًا: قال لى أبو الحسن السلمى: «كان أهل الشام يقرءون (إبراهيم) بألف فى مواضع دون مواضع، ثم تركوا القراءة بالألف وقرءوا جميع القرآن بالياء»، قال أبو على: «وهى لغة أهل الشام قديمًا»، وقال أبو بكر بن مهران: «روى عن مالك بن أنس أنه قيل له: إن أهل دمشق يقرءون (إبراهام) فقال: «أهل دمشق بأكل البطيخ أبصر منهم بالقراءة»، فقيل: «إنهم يدَّعون قراءة عثمان ﷺ فقال مالك: ها مصحف عثمان عندى، ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق». قال أبو بكر: وكذلك رأيت أنا فى مصاحفهم وكذلك إلى وقتنا هذا، وقال: «وفى سائر المصاحف إبراهيم مكتوب بالياء فى جميع القرآن إلا فى البقرة فإنه فيها بغير ياء».

(١) التطور النحوى للغة العربية/ ٢٨.

(٢) القراءات واللهجات / ١٠٨، ١٠٩ نقلًا عن أبى شامة فى إبراز المعانى.

٥- لأسباب أخرى:

(أ) كالتفخيم، أى رسم الألف واوًا فى مثل: (الصلوة، والزكوة، والحيوة ومشكوة، والربو)، قصدًا لتفخيم اللفظ فى النطق[١].

(ب) الدلالة على الجمع، كما فى قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ﴾[٢]، بياء وإن كانت فى اللفظ محذوفة لالتقاء الساكنين خلاف ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[٣]؛ لأن الواو هنا لام الكلمة والحاجة إليها داعية، فإن وجدت وإلا طلبت، والياء فى «محلى» زائدة، دالة على الجمع والجر، فإذا حذفتْ عاد الجمع مفردًا[٤].

(جـ) وحمل الخط على اللفظ كما كتب فى المصحف: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾[٥]، ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ﴾[٦]، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، بغير واو وهو فى موضع الرفع، كما كتبوا ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ﴾[٧] بغير ياء حملوا الخط على اللفظ ولم يعتبروا صورة الإبدال والانفصال[٨].

(د) قد يرجع اختلاف الرسم لضعف مستوى الكتابة وقت التدوين: المعروف أن الخطين الشائعين فى أول الإسلام هما الكوفى للمصاحف ونحوها، والنسخى أو النبطى للرسائل ونحوها، ثم إن ابن مقلة (ت٣٢٨هـ) جعل الخط النسخى على قاعدة جميلة حتى أدخله فى كتابة المصاحف[٩] بعد ذلك.

يقول ابن كثير: «إن الكتابة فى ذلك الزمان لَمْ تُحكم جيدًا، ولذا وقع فى كتابة المصحف اختلاف فى وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى»[١٠].

---

(١) باب الهجاء لابن الدهان / ٤٦، والمقنع / ٦٠.
(٢) المائدة من الآية:١.
(٣) العلق: ١٨.
(٤) انظر: باب الهجاء / ٤٨.
(٥) الإسراء: ١١.
(٦) الشورى: ٢٤.
(٧) النساء: ١٤٦.
(٨) انظر: باب الهجاء / ٣٧، ٣٨.
(٩) انظر: تاريخ آداب اللغة العربية - زيدان ١/ ٢٠١، ٢٠٢.
(١٠) القراءات واللهجات/ ١٠٩، عن ابن كثير فى فضائل القرآن.

ومن هنا رأينا فى المصحف كلمات زيد فيها حرف لغير سبب معروف، من ذلك قول أبى عمرو: «ولا خلاف بينها (المصاحف) فى زيادة الألف بعد الميم فى قوله: (مائة) و(مائتين)، ولم تزد فى قوله: (فئة) و(فئتين)، وكذلك زيدت الألف بعد الواو فى قوله ﷻ: (الربوا) فى جميع القرآن، وفى قوله: (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ) فى النساء (١٧٦)، وكذلك زيدت فى نحو (يَعبئوا)، و(لاتظمئوا) و(يَبْدؤا) و(الضعفؤا) و(إنا برءاؤا) وشبهه مما رُسِمتْ الهمزة المتطرفة المضمومة فيه على مراد الوصل...»، وقال محمد بن عيسى: «رأيت فى المصاحف كلها (شىء) بغير ألف، ما خلا فى الكهف (٢٣) يعنى قوله: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ)[١].

- ومن ذلك أنهم حذفوا الألف بعد الواو فى (السموات) و(سموات) فى جميع القرآن إلا فى موضع واحد، فإن الألف مرسومة فيه، وهو قوله: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾[٢] فأما الألف التى بعد الميم فمحذوفة فى كل موضع بلا خلاف.
- وقال الدانى: عن عاصم الجحدرى قال: فى الإمام (ولأوضعوا) التوبة/ ٤٧، و(لأذبحنه) فى النمل/ ٢١ بالألف.
- وقال أيضًا: سمعت الكسائى يقول: (لدا الباب) كُتبت فى يوسف (٢٥) بألف، قال أبو عمرو واتفقت المصاحف على ذلك، واختلفت فى (لدى الحناجر) فى المؤمن/ ١٨، فرسم فى بعضها بالياء وفى بعضها بالألف، وأكثرها على الياء[٣].

ثم يقول ابن خلدون[٤] عن الخط والكتابة: «... فالقول بأن أهل الحجاز إنما لُقنوها من الحيرة ولقنها أهل الحيرة من التبابعة وحمير، هو الأليق من الأقوال، وكان لحمير كتابة تسمى (المسند) حروفها منفصلة، وكانوا يمنعون من تعلمها إلا بإذنهم، ومن حمير تعلمت مصر الكتابة العربية إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها، شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب... وكانت كتابة العرب بدوية مثل – أو قريبًا

(١) المقنع/ ٤٨، ٤٩.

(٢) فصلت: من الآية/ ١٢.

(٣) القراءات واللهجات/ ١١٠، ١١١ عن المقنع.

(٤) انظر: المقدمة/ ٣٢٢، ٣٢٣.

من – كتاباتهم لهذا العهد... فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط؛ لما كان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركًا بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ، وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله، كما يقتفي لهذا العهد خط وَلِيٍّ أو عالم؛ تبركًا ويتبع رسمه خطأ أو صوابًا... ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم مُحكِمون لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل، بل لِكُلِّها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في (لا أذبحنه) إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في (بأييد) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية، وأمثال ذلك مما لا أصل له، إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهًا للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح، ويقول:

«واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعايشة... وقد كان ﷺ أميًّا، وكان ذلك كمالًا في حقه؛ لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي أسباب المعاش والعمران كلها، وليست الأمية كمالًا في حقنا؛ إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا بشأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية، فإن الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا».

اختلاف المصاحف العثمانية[١] فيما بينها بالزيادة والنقص:

قبل أن نوضح ذلك نجيب عن هذا التساؤل:

لماذا اختلف الرسم فى المصاحف المنسوخة من مصحف الإمام؟ قال أبو عمرو: «قلت: السبب فى ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ لما جمع القرآن فى المصاحف ونسخها على صورة واحدة، وآثر فى رسمها لغة قريش دون غيرها مما لا يصح ولا يثبت نظرًا للأمة واحتياطًا على أهل الملة، وثبت عنده أن هذه الحروف من عند الله ﷻ كذلك منزلة، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعلم أن جمعها فى مصحف واحد على تلك الحال غير متمكن إلا بإعادة الكلمة مرتين وفى رسم ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به - ففرقها فى المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة فى بعضها ومحذوفة فى بعضها؛ لكى تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ وعلى ما سمعت من رسول الله ﷺ، فهذا سبب اختلاف مرسومها فى مصاحف أهل الأمصار»[٢].

أمثلـــة:

قال السجستانى: «حدثنا عبد الله محمد بن يحيى حدثنا خلاد بن خالد المقرئ عن الكسائى قال: «اختلف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة؛ فأما أهل المدينة فقرءوا فى البقرة (١٣٢): (وأوصى بها إبراهيم)، وأهل الكوفة وأهل البصرة (ووصى بها) بغير ألف، وأهل المدينة فى آل عمران (١٣٣): (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) بغير واو، وأهل الكوفة وأهل البصرة: (وسارعوا) بواو، ويقول أهل المدينة فى المائدة: (من يرتدد) بدالين، ويقول أهل الكوفة وأهل البصرة: (من يرتد) بدال واحدة،

---

(١) هى المصاحف التى بعث بها عثمان إلى مكة والمدينة والكوفة والبصرة واليمن والبحرين والشام بعد نسخة المدينة واحتفاظه لنفسه بنسخة عرفت بـ (المصحف الإمام)، وهذه النسخة الأخيرة وجد فيها كل الاختلافات فى الرسم أو غيره التى وجدت فى المصاحف العثمانية التى وجهت إلى الأمصار، وكانت المصحف الإمام؛ لكونها مرجعًا للمصاحف العثمانية الأخرى.

(٢) المقنع/ ١١٨، ١١٩.

ويقـول أهل المدينة وأهـل البصرة فى الأنعام (٦٣): (لئن أنجيتنا) وأهل الكوفة: (لئن أنجانا)»(١).

وقال أبو عمرو فى باب: ذكر ما اختلف فيه مصاحف أهل الحجاز والعراق والشام المنتسخة من الإمام بالزيادة والنقصان: «وهذا الباب سمعناه من غير واحد من شيوخنا، من ذلك فى البقرة (١١٦) فى مصاحف أهل الشام: (قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُۥ) بغير واو قبـل (قالوا)، وفى سـائر المصاحـف: (وقالوا)، وفى الأعـراف (٣) فى مصاحف أهل الشـام: {قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ}، بالياء والتاء، وفى سـائر المصاحف: (تذكرون) بالتاء مـن غير ياء... وفى يونس (٢٢) فى مصاحف أهل الشـام: (هو الذى ينشـركم فى البر والبحـر) بالنون والشـين، وفى سـائر المصاحف: (يسـيركم) بالسـين واليـاء... وفى «سبحان» (٩٣) فى مصاحف أهل مكة والشام: (قال سبحان ربى هل كنت) بألف، وفى سـائر المصاحف: (قل) بغير ألف... وفى الشـعراء (٢١٧) فى مصاحف أهل المدينة والشام: (فتوكل على العزيز الرحيم) بالفاء، وفى سائر المصاحف: (وتوكل) بالواو... وفى يس (٣٥) فى مصاحف الكوفة: (ما عملت أيديهم) بغير هاء بعد التاء، وفى سائر المصاحف: (ما عملته) بالهاء، وفى الزخرف (٦٨) فى مصاحف أهل المدينة والشام: (يـا عبادى لا خوف عليكم) بالياء، وفى مصاحف أهل العراق: (يـــعباد) بغير ياء... وفـى الشـمس (١٥) فى مصاحـف أهل المدينة: (فـلا يخاف عقبـــها) بالفاء، وفى سائر المصاحف: (ولا يخاف) بالواو»(٢).

ويتضح من الأمثلة السـابقة وغيرها مما هو مختلف فى رسـم المصاحف العثمانية بالزيـادة أو النقـص، أن هذه الاختلافـات لا تغير المعنى؛ فضلًا عـن أنها من الأحرف السـبعة التـى نزل بها القـرآن الكريم فى قول رسـول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سـبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ»(٣).

(١) المصاحف/ ٤٩.

(٢) المقنع/ ١٠٦- ١١٢.

(٣) راجع ما سبق ص: ٢٣. ومعنى «كافٍ شافٍ» أى كل حرف من تلك الأحرف شافٍ للغليل، كافٍ فى أداء المقصود من فهم المعنى وإظهار البلاغة والفصاحة. وقيل: شافٍ لصدور المؤمنين لاتفاقها فى المعنى، كافٍ فى الحجة على صدق النبى ﷺ.

نقط المصحف وكيفية ضبطه

ويتصل اتصالًا وثيقًا برسم المصحف نقط المصحف وشكله، وقد عرفنا سابقًا[١] أن سيدنا عثمان ﷺ عندما جمع المصحف ونسخه كان غير منقوط ولا مشكول؛ حتى يحتمل رسمه القراءات المتواترة عن رسول الله ﷺ، بل إن الصحابة - رضوان الله عليهم - وكثيرًا من التابعين كانوا يكرهون نقط المصحف أو شكله فى بداية الأمر؛ خشية الزيادة فى الحروف أو تغييرها.

روى السجستانى: حدثنا عبد الله.. حدثنا هشام عن الحسن أنه كره أن تُنْقَط المصاحف بالنحو، وروى أيضًا عن عبد الله بن محمد بن آدم.. عن الحسن وابن سيرين أنهما كانا يكرهان نقط المصاحف[٢].

الترخيص فى نقط المصحف:

وظل الحال كذلك - حوالى أربعين سنة- والناس يقرءون القرآن دون نقط أو شكل حتى اختلط العرب بالأعاجم، وفسدت الألسنة، وكثر التصحيف والتحريف، وخشى العلماء أن يتسرب الخطأ إلى كتاب الله تعالى فتلتبس الحروف والكلمات والمعانى للمصحف الشريف إذا ظل غير منقوط ولا مشكول، «ففكروا بإحداث أشكال معينة تساعد على القراءة الصحيحة، وفى هذا الحال يُذكر كُلٌّ من عبيد الله بن زياد (ت٦٧هـ) والحجاج بن يوسف الثقفى (ت٩٥هـ)، فأما ابن زياد فيُنسب إليه أنه أمر رجلًا فارسى الأصل بإضافة الأَلِف إلى أَلفىْ كلمة حُذِفتْ منها، فكان هذا الكاتب ينسخ (قالت) بدلًا من (قلت)، و(كانت) بدلًا من (كنت).

---

(١) راجع ص ١٧.

(٢) انظر: المصاحف/ ١٥٨- ١٦٠. والخبر ضعيف.

وأما الحجاج فقد غَيَّر فى مصحف عثمان أحد عشر حرفًا، منها: فى البقرة (٢٥٩): (لم يتسن) فغيرها (لم يتسنه) بالهاء، وفى المائدة (٤٨): (شريعة ومنهاجًا) فغيرها (شرعة ومنهاجًا)، وفى الزخرف (٣٢): (نحن قسمنا بينهم معائشهم) فغيرها (معيشتهم)، وفى إذا الشمس كورت (٢٤): (وما هو على الغيب بظنين) فغيرها (بضنين)، فكانت هذه المواضع بعد إصلاحه أوضح قراءة وأيسر على الفهم»[١].

ومن أجل ذلك رأينا روايات تجيز نقط المصاحف بعد أن كان مكروهًا أولَ الأمر.

قال السجستانى: «حدثنا عبد الله حدثنا الحسن بن أحمد.. عن محمد بن سيف قال: سألت الحسن عن المصحف ينقط بالعربية قال: أَوَما بلغك كتاب عمر بن الخطاب ﷺ أن تفقهوا فى الدين، وأحسنوا عبارة الرؤيا، وتعلموا العربية؟ وحدثنا عبد الله حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب قال: أخبرنا نافع بن أبى نعيم القارئ قال: سألت ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن شكل القرآن فى المصاحف فقال: لا بأس به»[٢].

مَنْ نقَطَ المُصحف وشَكّله؟

اختلفت الروايات فيمن نقط المصحف أولًا؛ فقيل إنه أبو الأسود الدؤلى (ظالم ابن عمرو بن سفيان... بن كنانة، ت ٦٩هـ) أخذ أبو الأسود العربية عن الإمام على بن أبى طالب ﷺ فكان لا يخرج شيئًا مما أخذه عن على بن أبى طالب ﷺ إلى أحد، حتى بعث إليه زياد بن أبيه (ت٥٣هـ): «اعمل شيئًا تكون فيه إمامًا ينتفع الناس به وتعرب به كتاب الله تعالى» فاستعفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قارئًا يقرأ: (أن الله برىء من المشركين ورسولِه) بجر رسوله، فقال: «ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا»، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير، فَلْيَبْغِنى كاتبًا لَقِنًا يفعل ما أقول، فأُتِى بكاتب من عبد قيس فلم يرضه فأُتِى بآخر، فقال له أبو الأسود: «إذا فتحت فاى فاجعل نقطة

(١) انظر: المصاحف/ ١٣٠، ومباحث فى علوم القرآن/ ٩٠، ٩١. ويبدو لى أن الحجاج اطلع على نسخة أخرى غير مصحف عثمان فغير فيها وظن أنها مصحف عثمان، رضى الله عن الجميع.

(٢) انظر: المصاحف/ ١٦٠، ١٦١.

فوق الحرف، وإذا كسرت فاى فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاى فاجعل نقطة أمام الحرف، فإذا أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة - يعنى تنوينًا - فاجعل نقطتين»، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف، فهذا نقط أبى الأسود[1].

وقيل: إن نصر بن عاصم الليثى (ت٨٩هـ) أول من نقط المصحف وجعله أخماسًا وأعشارًا، وقيل: إن يحيى بن يعمر العَدْوانى (ت١٢٩هـ) أول من نقط المصحف.

وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك أبو الأسود الدؤلى، جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ) هو الذى جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام، أما يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، فقد أكملا ما بدأه أبو الأسود، وأتما هذا العمل الجليل.

المصاحف فى طور التجديد والتحسين:

«وأخذ الناس بعد ذلك يتنافسون فى اختيار الخطوط الجميلة وابتكار العلامات المميزة، حتى جعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرة فوقها أو تحتها، على حسب ما قبلها من فتحة أو كسرة أو ضمة»[2].

ومن المحدثات التى كرهها العلماء ثم انتهوا إلى إباحتها أو استحبابها أخيرًا، بدعة قراءة العناوين فى رأس كل سورة، ووضع رموز فاصلة عند رءوس الآى، وتقسيم القرآن إلى أجزاء، والأجزاء إلى أحزاب، والأحزاب إلى أرباع، والإشارة إلى ذلك كله برموز خاصة[3].

(١) انظر: النقط لأبى عمرو/ ١٢٩، وأخبار النحويين البصريين/ ١٠-١٢ والمصاحف/ ١٦٢ -١٦٥.

(٢) راجع: مباحث فى علوم القرآن/ ٩٥ عن مناهل العرفان للزرقانى.

(٣) ينبغى أن نعلم أن الإجماع منعقد على أن ترتيب الآيات توقيفى لا شبهة فى ذلك، كما أن النصوص المترادفة تؤكد أن ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف فى هذا بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذى هو الآن فى مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا فى سورة كذا، فثبت أن سَعْى الصحابة كان فى جمعه فى موضع واحد لا فى ترتيبه، وأما ترتيب السور فهل هو توقيفى أو هو باجتهاد الصحابة؟ ففيه خلاف؛ فجمهور العلماء على الثانى، ولذلك وجدنا اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور؛ فمصحف على رضي الله عنه كان أوله: اقرأ ثم المدثر، =

وقد أسهم الخطاطون فى تجويد المصاحف وتحسين كتابتها، ويقال: إن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) اختار لكتابة المصاحف خالد بن أبى الهياج الذى كان مشهورًا بجمال خطه، وهو الذى خط المحراب فى المسجد النبوى بالمدينة، وقد ظل الخطاطون يكتبون المصاحف بالخط الكوفى حتى أواخر القرن الرابع الهجرى، ثم حل محله خط النسخ الجميل فى أوائل القرن الخامس، وفيه جميع النقط والحركات التى لا نزال نستخدمها فى الكتابة إلى يومنا هذا[(١)].

طباعة المصحف:

ولكن الله ﷻ الذى تكفل بحفظ كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[(٢)] شاء أن ينتشر كتابه فى الآفاق بوساطة الطباعة، وهذه أيضًا مرت - ككتابة القرآن خطًّا- بأطوار التجويد والتحسين، وقد ظهر القرآن مطبوعًا لأول مرة فى البندقية حوالى سنة ١٥٣٠م، ولكن السلطات الكنسيَّة أصدرت أمرًا بإعدامه حال ظهوره، ثم قام «هنكلمان» بطبع القرآن فى مدينة (هانبورغ) سنة ١٦٩٤م، ثم تلاه «مراكى» بطبعه فى (بادو) سنة ١٦٩٨م.

ولم يكن لأى واحدة من هذه الطبعات الثلاث أثر يذكر فى العالم الإسلامى، ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن فى (سانت بترسبورغ) بروسيا سنة ١٧٨٧م، وهى التى قام بها «مولاى عثمان»، وظهر مثلها فى (قازان)، وإذ بإيران تقدم طبعتين حجريتين؛ إحداهما فى (طهران) سنة ١٨٢٨م، والأخرى فى (تبريز) سنة ١٨٣٣م، ويقوم (فلوجل) سنة ١٨٣٤م بطبعته الخاصة للقرآن فى (ليبزيغ) فيتلقاها الأوروبيون بحماسة منقطعة النظير بسبب إملائها الحديث السهل، ولكنها لا تصيب نجاحًا فى

= ومصحف ابن مسعود: البقرة ثم النساء وهكذا، وذهب إلى الرأى الأول جماعة قالوا: إن اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبى ﷺ وهذا ما نراه. الإتقان ١/ ٨٠-٨٤.

(١) مباحث فى علوم القرآن / ٧٩ - ٩٩ والمصاحف/ ١٣١ - ١٣٣.

(٢) الحجر: ٩.

العالم الإسلامى، وتظهر فى (الهند) طبعات للقرآن الكريم أيضًا، ثم تُعنى (الأستانة) ابتداء من سنة ١٨٧٧م بهذا الأمر العظيم.

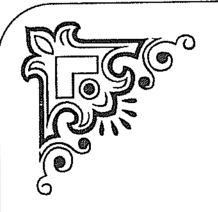
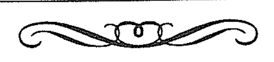
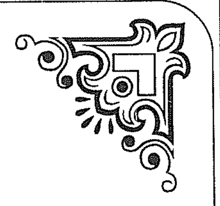
ثم كان حدثٌ سعيدٌ على جانب عظيم من الأهمية حين ظهرت فى القاهرة طبعة أنيقة جميلة دقيقة لكتاب الله سنة ١٩٣٣م تحت إشراف مشيخة الأزهر، وبإقرار اللجنة المعنية مِنْ قِبَل «الملك فؤاد الأول»، وقد كُتِبَ هذا المصحف وضُبِطَ على ما يوافق رواية حفص لقراءة عاصم، وقد تلقى العالم الإسلامى هذا المصحف بالقبول، وأصبحت ملايين النسخ التى تطبع منه سنويًّا هى وحدها المتداولة، أو تكاد تكون هى المتداولة لإجماع العلماء من مشارق الأرض ومغاربها على الدقة الكاملة فى رسمه وكتابته[١].

وكان من أشهر الطبعات للمصحف فى أيامنا المعاصرة طباعته فى مجمع الملك فهد بالمملكة العربية السعودية، بإشراف وزارة الحج والأوقاف هناك سنة ١٤٠٦هـ، وقد ضبطت على ما يوافق رواية حفص عن عاصم بعد مراجعة دقيقة من لجنة متخصصة تتكون من ستة عشر عضوًا، وقد انتشرت هذه الطبعة انتشارًا واسعًا، ووزعت فى كل أنحاء العالم الإسلامى. وما زال الباب مفتوحًا للإجادة والتحسين فى طباعة المصحف إلى أن تقوم الساعة، وصدق الله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾[٢].

* * *

(١) مباحث فى علوم القرآن / ٩٩، ١٠٠.

(٢) الحجر: ٩.

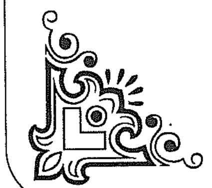
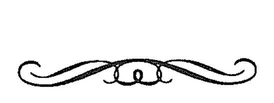
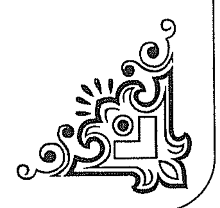




القسم الثانى

فى

فن التجويد

(الأداء القرآنى)

القسم الثانى
فن التجويد (الأداء القرآنى)

أهميتــــه:

القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه ورسمه، وفضله على سائر الكلام كفضل الله ﷻ على خلقه، وفى الحديث الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[١]، ومن هنا يجب الاهتمام بتلاوة القرآن وأدائه أداءً خاصًا يعتمد - دون غيره - على المشافهة والتلقى، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بذلك حيث قال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[٢]، وقد تعلمه نبينا ﷺ من جبريل عليه السلام عن الله ﷻ، ثم راجعه جبريل مع رسول الله فى كل عام مرة، وفى العام الأخير - الذى قبض فيه رسول الله ﷺ - مرتين، ثم علمه رسول الله للصحابة - رضوان الله عليهم - وراجعه معهم، ثم نقل ذلك إلى التابعين ومَنْ بعدهم بالتواتر إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة.

وإلى القارئ الكريم ما يبين ذلك، نقول وبالله التوفيق:

١- مفهوم التجويد:

التجويد فى اللغة: مصدر من قولنا: جَوّد الشيء إذا حَسَّنه، والاسم منه الجودة ضد الرداءة، يقال: جود فلان فى كذا، إذا فعل ذلك جيدًا.

وفى اصطلاح أهل الفن: إعطاء الحروف حقوقها ومستحقها[٣]، وردُّ الحرف إلى مخرجه وأصله وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته - كما أنزل الله تعالى - من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف[٤].

---

(١) صحيح البخارى ٣/ ٢٣٢.

(٢) المزمل: من الآية/ ٤.

(٣) والفرق بين حقوقها ومستحقها: أن حق الحرف مخرجه وصفاته اللازمة. ومستحقه: صفاته الناشئة عن صفاته اللازمة؛ كترقيق المستفل وتفخيم المستعلى.

(٤) انظر: النشر فى القراءات ١/ ٢١٠، ٢١٢ والطرازات المعلمة/ ٢٥٥.

٢- دليلــــه:

من القرآن قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[(١)].

ومن السـنة ما ورد عند البخارى فى باب «حسـن الصوت بالقـراءة»، حدثنا محمد ابن خلف... عن أبى موسى ﷺ عن النبى ﷺ قال: «يا أبا موسى لقد أوتيت مِزْمَارًا من مزامير آل داود»، وقول رسول الله ﷺ: «مَن أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ قـراءة ابـن أم عبد» يعنـى: عبد الله بن مسـعود (ت٣٢هـ)، وفى الأثر عـن عبد الله بن مسـعود: «جَوِّدوا القرآن وزينوه بأحسـن الأصوات وأعربوه فإنه عربى، والله يحب أن يُعرب به»[(٢)]؛ أى: يقرأ قراءة عربية صحيحة.

٣- حكمــــه:

العلم به فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل من يريد أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم[(٣)].

٤- غايتــــه:

صـون القرآن الكريم عن اللحن والتغيير، وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا، فقسـموا اللحن إلى: جلى وخفى؛ فالجلى كالخطأ فى الإعراب، والخفى كالخطأ فى القراءة[(٤)]، وسيأتى تفصيل ذلك.

٥- كيف يُقرأ القرآن؟ (مراتب القراءة):

القراءة سنة متبعة عن رسول الله ﷺ ينقلها الخلف عن السلف، ولا تخضع للقارئ أو لبيئته، وللقرآن الكريم مراتب فى قراءته ينبغى أن يتنبه لها القارئ، وهى:

- **التحقيـــق:**

وهو مصدر من حققت الشىء تحقيقًا إذا بلغت يقينه وحقيقته.

---

(١) المزمل: من الآية/ ٤.

(٢) انظر: صحيح البخارى ٣/ ٢٣٥، والنشر ١/ ٢١٠، ٢١٢، وكيف تجود القرآن؟ محمد الهلاوى / ٧-١٣.

(٣) مرشد المريد إلى علم التجويد/ ٣.

(٤) الإتقان فى علوم القرآن - للسيوطى ١/ ١٣٢.

ومعناه: إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز... إلخ، ومراعاة أحكام التلاوة مع اليسر والتؤدة وهو غاية الترتيل.

ويُسْتَحَب الأخذ به فى مقام التعليم.

- **الترتيـــل:**

وهــو مصدر مــن رَتّل فلان كلامــه إذا أَتبع بعضــه بعضًا على مكــث وتفهم من غير عجلة، وهو الذى نزل به القرآن، قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾[١].

قال ابن عباس: بَيِّنْه، وقال مجاهد: تَأَنَّ فيه[٢].

ومعناه: قراءة القرآن بتؤدة وروية؛ ليكون ذلك عونًا على تدبر القرآن وتفهُّمه.

- **الحـــدْر:**

هو مصدر من حَدَر بالفتح يحدُر بالضم إذا أسرع.

ومعناه: إدراج القراءة وسـرعتها وتخفيفها بالقصر والتسـكين والاختلاس والبدل، وغير ذلك مما وردت به القراءة.

وهو مذهب يقصد به الإكثار من القراءة لتكثير الحسنات.

- **التدوير:**

أى التوسط بين مقامى التحقيق والحدر، وهو مذهب أكثر الأئمة[٣].

وأفضـل المراتب السـابقة: هـو القـراءة بالترتيل؛ لنـزول القرآن الكريـم بها، ولأن الهدف من قراءة القرآن هو تدبر معانيه وفقهها.

٦- اللحن فى القراءة:

المراد باللحن هنا: الخطأ فى القراءة، وينقسم إلى قسمين: جَلى وخَفِى.

---

(١) المزمل: من الآية/ ٤.

(٢) النشر ١/ ٢٠٨.

(٣) المرجع السابق ١/ ٢٠٥ – ٢٠٨.

فالجلي: الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخل بمبناه (أي هيئته) إخلالًا ظاهرًا يعرفه الخاصة والعامة على السواء. مثل تغيير حركة الحرف فيؤدي إلى فساد المعنى؛ كضم التاء في قوله تعالى: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[(١)]، أو فتحها في قوله تعالى: ﴿مَاقُلْتُ لَهُمْ﴾[(٢)]، وقد تغير الحركة أو الحرف دون إفساد المعنى فيُعدُّ ذلك خطأ جليًّا أيضًا، كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾[(٣)]، بتحريك المجزوم، ونطق قوله تعالى: ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾[(٤)] بقلب الطاء تاءً أو دالًا.

ومن ذلك الخطأ الإخلال بأحكام التجويد الظاهرة؛ كترك المدود الطبيعية مِنْ «قال»، أو ترك الإدغام والإظهار، كما سنعرفه.

والخفيّ: الخطأ الذي يتعلق بكمال إتقان النطق لا بتصحيحه، وهو اختصاص أهل هذا الفن مثل: عدم ضبط مقادير المدود بالنقص أو الزيادة.

ومَنْ وقع في اللحن الجلي لا تصح قراءته، وينبغي عدم الصلاة خلفه.

ومَنْ وقع في اللحن الخفي فهو مخل بإتقان القراءة مع صحة الصلاة خلفه[(٥)].

٧- القراءة الصحيحة:

هي كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر، كما ذكر علماء القراءات.

فكل قراءة تحققت فيها الأركان السابقة يجب قبولها، ومتى لم تتحقق الأركان السابقة أو ركن منها في قراءة فهي قراءة شاذة ومردودة.

والمراد بقولهم: وافقت اللغة، أن تكون موافقة لوجه من وجوه النحو، سواء كان أفصح أو فصيحًا مثل قراءة حمزة (بجر) الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ

---

(١) الفاتحة: من الآية/ ٧.

(٢) المائدة: من الآية/ ١١٧.

(٣) الإخلاص: ٣.

(٤) النازعات: من الآية/ ٣٤.

(٥) كيف تجود القرآن/ ١٤-١٦.

﴿بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ﴾[١] وقـراءة «الأرحـامِ» بالجر عطفًا على الضميـر المجرور فى «به»، وقياس النحوييـن فى مثل هذا: أنه لا يعطف علـى الضمير المجرور إلا بإعادة الجار. فالقراءة صحيحة لموافقتها لوجه من وجوه العربية.

والمـراد بقولهـم: وافقـت رسـم أحد المصاحـف، أن تكـون ثابتة ولو فـى بعضها كقـراءة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[٢] بحـذف الألـف فهـى ثابتة فـى المصحف المدنى والشامى.

أما التواتر فهو نقل جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب عن جماعة كذلك، من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله ﷺ.

قـال النويـرى: «أجمع الأصوليـون والفقهاء على أنـه لم يتواتر شـىء مما زاد على القراءات العشر، كذلك أجمع عليه القراء أيضًا إلا من لا يُعتَدُّ بخلافه»[٣].

٨- الاستعـــاذة:

هـى طلـب العـوذ، أى الامتناع بالحفـظ والعصمـة، وصيغتهـا: «أعـوذ بالله من الشيطان الرجيم».

ويـرى الجمهور أنها مسـتحبة، وقيل: واجبة عند إرادة القـراءة؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٤].

٩- البسملـــة:

هـى مصدر بسـمل، أى قال: «بسـم الله الرحمن الرحيـم»، مثل «هيلـل»: إذا قال: «لا إله إلا الله»[٥].

---

(١) النساء: من الآية/ ١.
(٢) آل عمران: من الآية/ ١٣٣.
(٣) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب- عبد الفتاح القاضى/ ٤ وما بعدها.
(٤) النحل: ٩٨.
(٥) الوافى فى شرح الشاطبية/ ٤٥.

وتجب عند بداية القراءة وعند أول كل سورة عدا سورة «براءة»، وذلك لكتابتها فى المصحف، أما سورة «براءة» فلا يجوز الإتيان بها فى أولها؛ وذلك لعدم كتابتها فى المصحف؛ حيث إن هذه السورة تبدأ ببراءة الله ورسوله من المشركين ورفع الأمن عنهم بالسيف، وذلك لا يتناسب مع ما فى البسملة من الرحمة والأمن، وخير صيغة لتلاوة سورة «براءة» هى: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم الله أكبر براءة من الله ورسوله... إلخ».

■ **الفرق بين القراءة والتلاوة:**

القـراءة: مـن قرأ يقـرأ؛ أى ضم الحـروف بعضها إلـى بعض، وهى عامـة فى قراءة القرآن وغيره. نقول: قرأ القرآن والكتاب.

والتـلاوة: من تلا يتلو تـلاوة؛ أى أتبع الكلام بعضه إلى بعـض؛ وهى خاصة بقراءة القـرآن الكريم وكتـب الله المنزلـة. نقول: تلوت القـرآن تلاوة، وفى القـرآن الكريم: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[1].

١٠- من يجب أن يُقرأ عليه القرآن ويُنقل عنه؟ (الشروط الواجبة فى القارئ):

يجـب علـى قـارئ القرآن الكريـم أن يكـون حافظًا له حفظًـا جيدًا، عالمًـا بأحكام التجويـد دراية وتطبيقًا، عارفًا بالقـراءات القرآنية دراية ورواية وصحة وشـذوذًا، فَطِنًا فـى علوم العربية والقـرآن والدين، فإذا تحققـت فى قارئ القرآن هذه الشـروط قُبِلَتْ قراءته، ونُقِلَتْ عنه، وأصبح إمامًا فى القراءة.

قـال مكى بن أبى طالب عن أبـى محمد: «يجب على قارئ القرآن أن يتخير لقراءته ونقلـه وضبطـه أهل الديانـة والصيانة والفهم فى علـوم القرآن والنفاذ فـى علم العربية والتجويد بحكاية ألفاظ القرآن وصحة النقل عن الأئمة المشهورين بالعلم...».

(١) الكهف: ٢٧.

وقال: «القراء يتفاضلون فى العلم بالتجويد؛ فمنهم مَنْ يعلمه رواية وقياسًا وتمييزًا فذلك الحاذق الفطن، ومنهم من يعرفه سماعًا وتقليدًا فذلك الوهن الضعيف[١]، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف، إذ لم يَبْنِ على أصل ولا نَقَل عن فهم، قال: فنَقْل القرآن فطنة ودراية أحسن منه سماعًا ورواية»[٢].

١١- مخارج الحروف وصفاتها:

■ أولًا: المخارج:

المخارج جمع مَخْرَج، وهو مكان خروج الحرف، وهو إما محقق يعتمد على جزء معين من الحلق أو اللسان أو الشفتين، وهذا يشمل كل مخارج الحروف عدا حروف المد، وإما مخرج مقدر لعدم تحديده بجزء محدد وهو الجوف مخرج الحروف المدية أى: الألف الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا، والواو الساكنة الممدودة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة الممدودة المكسور ما قبلها.

ويمكن معرفة مخرج الحرف بتسكينه أو تشديده مع إدخال همزة الوصل قبله مثل الباء، نسكنها أو نشددها مع همزة الوصل، فنقول: أبْ، أبّ، والمخرج يكون مكان انقطاع الصوت وهو هنا: الشفتان.

ألقاب المخارج وحروف كل لقب:

١- **الجوْفية والهوائية**: وتحت هذا اللقب (الواو والألف والياء) التى هى حروف مد، وتسمى أيضًا: الحروف المدية وحروف العلة.

٢- **الحلقية**: وتشمل حروف الحلق الستة، فمن أقصى الحلق: الهمزة والهاء، ومن أوسطه: العين والحاء، ومن أدناه: الغين والخاء.

---

(١) وهذا ما عليه أكثر القراء الآن الذين نسمعهم فى المناسبات المختلفة ولا حَظّ لهم من القرآن إلا التقليد وحفظ ما يقرءونه فقط – سامحهم الله وعفا عنا وعنهم.

(٢) الرعاية / ص٢٢.

٣- **اللسانية**: وتشمل ثمانية عشر حرفًا: فمن أقصى اللسان البعيد من جهة الحلق: القاف، ومن أقصاه القريب جهة الفم: الكاف، وتسمى الحروف (اللهوية) لخروجها من اللهاة.

ومن وسط اللسان مع محاذاة الحنك الأعلى: الجيم والشين والياء، ويلحق بها الضاد فهي من حافة اللسان مع الأضراس العليا، وتسمى الحروف الأربعة (الشجرية) لخروجها من شجر الفم.

ومن حافة اللسان ومنتهى طرفه تخرج اللام، ومن طرفه تحت مخرج اللام من اللثة العليا: النون، ومن طرفه بعد مخرج النون قرب ظهر اللسان: الراء، وتسمى الثلاثة (بالذَّلَقِية) لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه.

ومن طرفه مع أصول الثنايا العليا: الطاء والتاء والدال، وتسمى (النِّطْعِية) لخروجها من نطع غار الحنك الأعلى، وهو الذي يُرى فيه آثار كالحزوز.

ومن طرفه مع القرب من الثنايا السفلى: الصاد والسين والزاي، وتسمى (الأسَلِية) لخروجها من أسلة اللسان أي طرفه، وتسمى بحروف الصفير.

ومن طرفه مع أطراف الثنايا العليا: الظاء والذال والثاء، وتسمى اللثوية لخروجها من قرب اللثة.

٤- **الشفوية**: وتشتمل على حروف: الباء والميم والواو والفاء؛ الثلاثة الأولى تخرج من بين الشفتين، والفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

٥- **الخَيْشومية نسبة إلى الخيشوم**: وتخرج منه: الغُنَّة، وهي ليست حرفًا ولكنها صفة ملازمة للنون والميم.

ثانيًا: الصفات:

أهمية معرفة صفات الحرف:

ترجع أهمية صفات الحروف إلى أنها تميز بين الحروف المشتركة في المخرج كالتاء والطاء، وبمعرفة صفات الحرف يُفرق بينه وبين غيره، وتتكون شخصيته بين

حروف اللغة بحيث لا يشترك حرفان فى نفس المخرج والصفات، وأيضًا معرفة القوى من الحروف والضعيف منها؛ لمعرفة ما يجوز فيه الإدغام وما لا يجوز.

■ **تقسيم صفات الحروف:**

أولًا: هناك صفات لازمة للحروف[١]، وهى نوعان:

١- ما له ضد، مثل: الهمس، فهو ضد الجهر.

٢- ما لا ضد له، مثل: الصفير، فهو خاص بحروف معينة، ونوضح ذلك فيما يلى:

الصفات ذوات الأضداد:

(أ) الجهر والهمس:

الجهر: اهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت، ونعرف ذلك بأن نضع أصبعنا فوق البروز الحنجرى المسمى بتفاحة آدم أثناء نطق الصوت، فإذا شعرنا باهتزاز الوترين الصوتيين كان الصوت مجهورًا، وحروف الجهر هى:

ء - ب - ج - د - ذ - ر - ز - ض - ط - ظ - ع - غ - ق - ل - م - ن[٢] - الألف - الواو - الياء، وتتحقق قوة الصوت ووضوحه فى الحروف السابقة.

الهَمس: عدم اهتزاز الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت، وبذلك يكون الصوت ضعيفًا، وحروفه عشرة يجمعها قولك: (سَكَت فَحَثَّه شَخْص).

(ب) الشدة والرخاوة والتوسط:

الشدة: أى القوة، واصطلاحًا: لزوم الحرف موضعَه لقوة الاعتماد عليه فى المخرج حتى حبس الصوت عن الجريان معه، وحروفها ثمانية يجمعها: (أَجِدُكَ قَطَّبْت)

---

(١) وهناك صفات عرضية لبعض الحروف سيأتى الحديث عنها بإذن الله تعالى.

(٢) هناك خلاف بين القدماء والمحدثين فى صفة الجهر فى حروف: الهمزة والطاء والقاف. راجع كتابنا: الفكر الصوتى/ ١٢٨ وما بعدها.

والرخـاوة: أي اللين، واصطلاحًا: ضعف لزوم الحرف موضعَه لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جرى الصوت معه، وحروفها باقي حروف الهجاء عدا حروف الشدة والتوسط الآتية.

والتوسط: أي بين القوة واللين، واصطلاحًا: كون الحرف بين الصفتين، وحروفه خمسة، يجمعها قولنا: (لِنْ عُمَر)[1].

(جـ) الاستعلاء والاستفال:

الاستعلاء: أي الارتفاع، واصطلاحًا: ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف فيرتفع الصوت معه، وحروفه سبعة هي: (خُصَّ ضَغْطٌ قَظ).

الاستفال: أي الانخفاض، واصطلاحًا: انخفاض اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه باقي الحروف عدا حروف الاستعلاء.

(د) الإطباق والانفتاح:

الإطباق: أي الالتصاق، واصطلاحًا: ارتفاع ظهر اللسان نحو الحنك الأعلى بحيث يكون الحنك الأعلى كالطبق للسان عند النطق بالحرف، وحروفه أربعة: (ص ض ط ظ).

الانفتاح: أي الافتراق، واصطلاحًا: انفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف، وحروفه: عدا حروف الإطباق السابقة.

(هـ) الذلاقة والإصمات:

الذلاقة: أي الخفة، واصطلاحًا: الاعتماد عند النطق بالحرف على ذلق اللسان (طرفه) والشفة، وحروفها ستة مجموعة في قولهم: (مر بنفل).

الإصمات: أي السكوت، واصطلاحًا: منع حروفه من أن يبنى منها وحدها كلمة رباعية الأصول أو خماسية إلا ما نص على عربيته منها، مثل: (عسجد) للذهب، وحروفها: ما عدا حروف الذلاقة السابقة.

---

(١) «العين» من الأصوات الرخوة عند المحدثين. نفسه/ ١٢٠.

الصفات التى ليس لها ضد:

١- **الصفير**: صوت زائد يخرج عند النطق بحروف (الزاى والسين والصاد)، وهو أقوى فى الصاد لوجود الإطباق والاستعلاء، ثم الزاى لوجود صفة الجهر، وأخيرًا السين لهمسها.

٢- **القلقلة**: أى التحريك، ومعناها: اضطراب اللسان بالحرف عند النطق به ساكنًا وحروفها خمسة فى قولك: (قطب جد).

٣- **اللين**: أى السهولة، ومعناه: خروج الحرف من مخرجه من غير مشقة على اللسان، وله حرفان: الواو والياء الساكنان المفتوح ما قبلهما مثل: «مَوْعِدُك»، «المَيْمنة».

٤- **الانحراف**: أى الميل، يوصف به اللام، قال سيبويه: «لانحراف اللسان مع الصوت فيخرج الصوت من ناحيتى مستدق اللسان فويق ذلك»[1].

٥- **التكرير**: أى إعادة الشىء، وهو ارتعاد طرف اللسان عند النطق بالراء، قال سيبويه: «ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه».

٦- **الاستطالة**: أى الامتداد، ومعناها: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخره، وحرفها: الضاد.

٧- **التفشى**: أى الانتشار، ومعناه: انتشار الهواء فى الفم عند النطق بحرف الشين.

٨- **الخفاء**: أى الاستتار، ومعناه: خفاء صوت الحرف، وله أربعة حروف (حروف المد الثلاثة والهاء)، وسميت خفية لأنها تخفى فى اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها.

٩- **الغنة**: هى صوت لذيذ فى الخيشوم ملازم للنون والميم والتنوين فى حالة الإدغام بغنة والإخفاء، ومقدارها حركتان، ويسمى الحرف الموصوف بها أَغَنّ[2].

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٥.

(٢) نفسه. وكتابنا الفكر الصوتى/ ١٢٠- ١٢٥ والوافى فى شرح الشاطبية/ ٣٩١.

الصفات العرضيـــــة:

هذه الصفات ليست ملازمة للحرف بل تعرض له أحيانًا، وهى إحدى عشرة صفة: (التفخيم والترقيق والإظهار والإدغام والقلب والإخفاء والمد والقصر والتحريك والسكون والسكت)(١).

وأهم هذه الصفات: التفخيم والترقيق:

التفخيم: تعظيم الصوت فى النطق حتى يمتلئ الفم بصداه، وأصواته هى أصوات الاستعلاء والإطباق والراء واللام وألف المد وواو المد فى مواضع معينة(٢).

الترقيق: حالة من الرقة والنحافة تلحق الحرف عند النطق به، فلا يمتلئ الفم بصداه(٣).

وإلى القارئ الكريم تفصيل ذلك وبيان أهميته:

الظاهرة عند القراء:

اهتم القراء اهتمامًا خاصًا بهذه الظاهرة، وأفاض فيها كل مَنْ ألف فى القراءات، ومنهم أبو عمرو الدانى فى التيسير(٤)، وابن الباذش فى الإقناع فى القراءات السبع(٥)، وابن الجزرى فى النشر(٦)، والبناء الدمياطى فى الإتحاف(٧)؛ وذلك لأن الدقة فى إعطاء كل حرف حقه فى النطق تكمن فى معرفة أحكام التفخيم والترقيق، وتلك حقيقة علم التجويد التى لا تحصل إلا بالإتقان والتدريب ومعرفة أحكام كل حرف على حدة فى حالة الإفراد، وتطبيق ذلك عليه فى حالة التركيب مع غيره.

وقد سبق آنفًا أن الحروف التى تفخَّم قسمان:

- حروف الاستعلاء، وحروف الإطباق أمكن منها فى باب التفخيم.

(١) راجع المختصر المفيد/ ١٨ -٣٣.

(٢) راجع النشر فى القراءات ١/ ٢١٥ وما بعدها.

(٣) العميد في علم التجويد/ ١٢٣.

(٤) ص/ ٥٥ وما بعدها.

(٥) ص/ ٣٢٤ وما بعدها.

(٦) ١/ ٢١٥ وما بعدها.

(٧) ص/ ٩٣ وما بعدها.

- ألف المد وواو المد والراء واللام.

١ - **فألف المد** تفخم إذا وقعت بعد حرف مفخم، فهى تابعة لما قبلها تفخيمًا وترقيقًا، فتفخم فى مثل: صائم، قائم، ظالم، ضاحك، طائف، وترقق فى مثل: بائع، نائل...

٢ - **واو المد** فى صوتها شىء من التفخيم حين يسبقها أحد حروف الإطباق مثل: الطور، مسطور، الصور، منظور.

٣ - **اللام** تغلظ أو تفخم فى لفظ الجلالة، إذا سُبِقَ بفتحة أو ضمة مثل: قالَ الله، منَ الله، رسولُ الله، عبدُ الله، وكذا لفظ الجلالة المختوم بميم زائدة، مثل: اللهم. فإن كُسِرَ ما قبل لفظ الجلالة كسرًا محضًا أو عارضًا رققت اللام نحو: لِله، وبالله، قُلِ اللهم، الأصل: قُلْ، كُسِرَتْ اللام للتخلص من التقاء الساكنين.

وكل لام مفتوحة (مخففة أو مشددة) متوسطة كانت أو متطرفة، سبقت بصاد أو طاء أو ظاء جاز تغليظها؛ أى: تفخيمها، مثل: «على صَلاتهم»، «أو يُصَلَّبوا»، «أن يوصل»، «مَطْلع الفجر»، «بئر مُعطلة»، «ظَلَّ وَجْهه».

أما إذا كانت مضمومة أو مكسورة أو ساكنة وكانت تلك الحروف قبلها مضمومة أو مكسورة، فإن اللام ترقق فى الحالين، مثل: «ظَلَموا»، «إلا من ظُلِم»، «فظَلْتم»، «تَطَّلع»، «يُصلى عليكم»، «وصَّلْنا لهم القول»، «ظِلال»، «عُطِّلت»، «فُصِّلَتْ»، كما ترقق اللام إذا كانت رأس آية، نحو: «فلا صَدَّقَ ولا صَلَّى».

٤ - **الراء**: يمكن القول: إن تفخيم نطق الراء فى درج الكلام وعند الوقوف عليها ترتبط بالفتح أو الضم أو السكون المسبوق بفتح أو ضم على الراء التى فى درج الكلام، أو على ما قبل الراء الموقوف عليها، وكذا إذا كانت ساكنة بعد همزة وصل فتفخم الراء فى نحو: رَزقناكم - رُزقنا - رِزْقًا - مَرَج - قُرآن - فلا تَنْهر - ويولون الدُّبر - وليالٍ عشر - ارْكض - وارْزقنا - ارْجِعى - أم ارْتابوا.

وإن ترقيق نطق الراء مرتبط بالكسرة أو الإمالة أو السكون المسبوق بكسر أو إمالة، على الراء التى فى درج الكلام، فتُرقق فى الأمور الآتية:

(أ) إذا كانت مفتوحة أو مضمومة وقبلها ياء ساكنة، نحو: «فيهن خَيْرات»، «ذلك خَيْر».

(ب) إذا كانت مكسورة، نحو: «بِشَرَرٍ، رِجال، فِرحين».

(جـ) إذا سكنت وقبلها كسرة أصلية مثل: «فاضْطَرِ، استغفِرْ لهم».

(د) إذا وقعت بعدها كسرة، مثل: «رَدِفَ لكم، كُرْسِيه».

ولا شك أن تفخيم ألف المد أو واو المد والراء وتغليظ اللام - فيما سبق - يقتضى أن يتخذ اللسان مع كل منهما شكلًا مقعرًا مشبهًا فى ذلك حروف الإطباق، وفى حالة الترقيق يكون اللسان فى وضعه العادى(١).

والترقيق: عكس التفخيم، وهو جعل جسم الحرف نحيلًا فلا يمتلئ الفم بصداه، وأصوات الترقيق: ما عدا أصوات التفخيم السابقة.

ونلاحظ على الصفات السابقة أن بعضها صفات قوة كالجهر، وبعضها صفات ضعف كالهمس(٢).

وتنقسم حروف العربية من حيث القوة والضعف إلى:

(أ) **حروف قوية**: وهى كل حرف يتصف بثلاث صفات قوة على الأقل، وهى: (ض، ب، ط، ق، ر، ظ، ج، ص، د).

(ب) **حروف متوسطة**: وهى كل حرف فيه صفتان قويتان وهى: (أ، ل، م، ن، غ، ز).

(جـ) **حروف ضعيفة**: وهى كل حرف فيه صفة قوة واحدة أو ليس فيه منها شىء، وهى: (خ، ش، و، ع، ذ، ك، ى، ت، و، ا، س، ى، هـ، ف، ح، ث).

وإلى القارئ الكريم أهم الأحكام التجويدية(٣):

---

(١) انظر فيما سبق: أصوات اللغة العربية، د/ محمد جبل بتصرف عن الإتحاف ونهاية القول المفيد، وقارن بكتابنا أصوات اللغة العربية - دراسة وصفية تطبيقية/ ٨٨، ٩٨.

(٢) راجع المختصر المفيد/ ١٧، ١٨.

(٣) ويُعد ذلك تطبيقًا للأحكام النظرية عند قراءة القرآن الكريم.

أولا: أحكام النون الساكنة والتنوين مع الحروف الأبجدية

النون الساكنة هى التى لا حركة لها فى مثل: مِنْ وعَنْ.

والتنوين: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم لفظًا، وتفارقه فى الخط والوقف.

وعلامته: الضمتان، مثل: رحيمٌ، أو الفتحتان مثل: رحيمًا، أو الكسرتان مثل: رحيمٍ(١).

وأحكام النون الساكنة والتنوين أربعة، وهى:

١- الإظهار الحلقى:

وهو فى اللغة: البيان، وفى الاصطلاح: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة فى الحرف المظهر.

ويتحقق إظهار النون الساكنة والتنوين إذا وقع بعدهما حرف من أحرف الحلق الستة الآتية: الهمزة والهاء، العين والحاء، الغين والخاء.

وللإظهار الحلقى مراتب ثلاث:

١- أعلى عند الهمزة والهاء.

٢- أوسط عند العين والحاء.

٣- أدنى عند الغين والخاء(٢).

ويلاحظ أن النون الساكنة تظهر مع أحد حروف الحلق الستة، سواء أكانت فى كلمة أم فى كلمتين، أما التنوين فيظهر فى كلمتين فقط ولا يكون فى كلمة واحدة، وإليك الأمثلة:

---

(١) مرشد المريد/ ٣.

(٢) دراسات فى التجويد والأصوات/ ١٥٠.

■ أمثلة على إظهار النون الساكنة والتنوين:

مثال النون الساكنة: من كلمة	مثال النون الساكنة: من كلمتين	مثال التنوين لا يكون إلا من كلمتين	حروف الإظهار
«ويَنْأون عنه»	«ومِنْ أهل»	«رسولٌ أمين»	الهمزة
«ينْهى»	«مَنْ هاجر»	«فريقًا هدى»	الهاء
«أنْعمت»	«مِنْ عمل»	«سميعٌ عليم»	العين
«ينْحتون»	«مِنْ حكيم»	«غفورٌ حليم»	الحاء
«فسينْغضون»	«مِنْ غير شىء»	«ماءً غدقًا»	الغين
«والمنْخنقة»	«مِنْ خوف»	«يومئذٍ خاشعة»	الخاء

والإظهار – فيما سبق – يسمى إظهارًا حلقيًا لخروج حروفه من الحلق، قال الناظم (صاحب تحفة الأطفال) فى هذا الإظهار:

للنون إن تسكن وللتنوين ... أربع أحكام فخذ تبيينى
فالأول الإظهار قبل أحرف ... للحلق سِتٌّ رُتِّبَتْ فَلْتعرف
همز فهاء ثم عين حاء ... مهملتان ثم غين خاء[1]

هذا والسبب فى إظهار النون الساكنة إظهارًا حلقيًا مع أحد حروف الحلق الستة هو سبب صوتى، يرجع إلى بُعْد المخرج بين النون المظهرة التى هى من طرف اللسان مع أعلى لثة الثنايا العليا، مع خروج هوائها كله وصوتها من الأنف، وبين حروف الحلق التى تخرج من الحلق[2].

٢- الإدغام:

وهو فى اللغة: إدخال الشىء فى الشىء.

وفى الاصطلاح: النطق بالحرف الأول كالثانى مشددًا، وفائدته تخفيف اللفظ وتيسيره والاقتصاد فى الجهد العضلى، هذا وللإدغام أحكام كثيرة، ليس هنا تفصيلها.

(١) المختصر/ ١١٠.

(٢) انظر: مرشد المريد إلى علم التجويد/ ٣، ٤، والوافى فى شرح الشاطبية/ ١٣٨، ١٣٩.

ويتحقق الإدغـام إذا التقـت النـون السـاكنة أو التنويـن مـع أحد حـروف الإدغام المتحركة[1]، وحروف الإدغام ستة، وهى:

١- الياء. ٢- النون. ٣- الميم.

٤- الواو. ٥- اللام ٦- الراء.

وتجمع هذه الحروف فى كلمة «يَرْمَلُون».

والإدغام فى الحروف الأربعة الأولى، وهى: الياء والنون والميم والواو المجموعة فـى كلمـة «يَنْمُو» يكون إدغامًـا بغنة. أما إدغام النون السـاكنة والتنوين فى الراء واللام فيكون إدغامًا بغير غنة، وإليك الأمثلة على الترتيب:

مثال على النون الساكنة	مثال التنوين	حرف الإدغام	نوع الإدغام
«إن يّقولون»	«يومئذ يّصدر»	الياء	بغنة
«من نّعمة»	«أمشاج نّبتليه»	النون	بغنة
«من مّلجأ»	«صراطًا مّستقيمًا»	الميم	بغنة
«من وّاق»	«جنات وّعيون»	الواو	بغنة
«لئن لّم»	«هدى لّلمتقين»	اللام	بغير غنة
«من رّبهم»	«فى عيشة رّاضية»	الراء	بغير غنة

ونلاحـظ فـى الأمثلة السـابقة أن النون السـاكنة والتنوين فى كلمتيـن بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين فى آخر الكلمة الأولى وحرف الإدغام فى أول الكلمة الثانية، وهذا هو شرط الإدغام.

أما إذا كانت النون الساكنة وحرف الإدغام فى كلمة واحدة كان حكم النون الإظهار، والأمثلة على ذلك: «الدُّنْيا، بُنْيَان، قِنْوان، صِنْوان».

(١) ينبغى أن نعلم أن الإدغام هنا هو الإدغام الصغير، أما الإدغام الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين المدغمين متحركًا مثل: «لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم»، انظر: الوافى/ ٥٣ وما بعدها، ودراسات فى أصوات اللغة العربية / ١٤٨.

ويسمى الإظهار حينئذ إظهارًا مطلقًا، قال الناظم فى الإدغام:

والثانى إدغام بستة أَتتْ ... فى يرملون عندهم قد ثبتَتْ

لكنها قسمان قسم يُدغما ... فيه بغنة بِيَنْمو علما

إلا إذا كان بكلمة فلا ... تُدْغِم كدُنْيَا ثم صِنْوانٍ تلا[1]

والسبب فى إدغام النون الساكنة والتنوين مع أحد حروف «يرملون» - فى كلمتين - يرجع إلى قرب المخرج بين النون وهذه الحروف، فالنون من طرف اللسان، وهذه الحروف تدور بين طرف اللسان ووسطه والشفتين، يضاف إلى ذلك قرب الصفات أيضًا بين هذه الحروف، فهى تشترك فى صفات «الاستفال والانفتاح والجهر»[2].

٣- الإقلاب:

وهو فى اللغة: تحويل الشيء عن وجهه.

وعند أهل هذا الفن: قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفاة فى اللفظ لا فى الخط مع بقاء الغنة.

وللإقلاب حرف واحد هو الباء.

فإذا التقت النون الساكنة أو التنوين مع حرف الباء نتج عن ذلك قلب النون الساكنة أو التنوين ميمًا مخفاة، ويتضح السبب فى ذلك قريبًا.

والتقاء النون الساكنة مع الباء قد يكون فى كلمة واحدة، مثل: «ينبت لكم».

وقد يكون فى كلمتين؛ مثل: «منْ بَخل».

أما التنوين مع الباء فلا يكون إلا فى كلمتين، مثل: «حِلٌّ بهذا».

قال الناظم:

والثالث الإقلاب عند الباء ... ميمًا بغنة مع الإخفاء[3]

---

(١) انظر: مرشد المريد / ٤، ٥، والوافى / ١٣٨.

(٢) دراسات فى أصوات اللغة العربية / ١٥١.

(٣) مرشد المريد / ٥، ٦.

والسبب فى قلب النون الساكنة ميمًا مع الباء أن النطق بالنون الساكنة يتطلب استمرار مرور الهواء عن طريق الغنة التى تخرج من الأنف، والنطق بالباء يتطلب حجز الهواء بالتقاء الشفتين، وعند ذلك يتنافى الحرفان، فتأتى بحرف يتفق مع النون فى الغنة ومع الباء فى المخرج من الشفتين وهو الميم، ومن هنا نستطيع النطق بالصوتين عن طريق الإقلاب[1].

٤- الإخفاء:

وهو فى اللغة: الستر من أخفيت الشيء إذا سترته.

واصطلاحًا: النطق بالحرف بصفة بين الإظهار والإدغام، عارٍ عن التشديد مع بقاء الغنة فى الحرف المخفى (النون الساكنة أو التنوين).

ويتحقق الإخفاء إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين أحد الحروف الآتية:

١- الصاد.	٢- الذال.	٣- الثاء.
٤- الكاف.	٥- الجيم.	٦- الشين.
٧- القاف.	٨- السين.	٩- الدال.
١٠- الطاء.	١١- الزاى.	١٢- الفاء.
١٣- التاء.	١٤- الضاد.	١٥- الظاء.

وهى خمسة عشر حرفًا جُمِعَتْ فى الحروف الأولى من كلمات هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنا كَمْ جَادَ شَخْص قَدْ سَمَا　　　دُمْ طَيِّبًا زِدْ فى تُقًى ضَعْ ظَالِما

كما نلاحظ أن أحرف الإخفاء تقع مع النون الساكنة فى كلمة واحدة أو فى كلمتين، أما أحرف الإخفاء مع التنوين فلا يكون ذلك إلا فى كلمتين، وإليك أمثلة إخفاء النون الساكنة والتنوين:

(١) دراسات فى أصوات اللغة / ١٣٥.

مثال النون الساكنة		مثال التنوين لا يكون إلا من كلمتين	حروف الإخفاء
من كلمة	من كلمتين		
«مَنْصُورًا»	«مِن صياصيهم»	«رِجالٌ صدقوا»	الصاد
«لينذر»	«من ذا الذى»	«كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقة الموت»	الذال
«أنثى»	«فمن ثقلت»	«ماءً ثجاجًا»	الثاء
«أنكالًا»	«من كان»	«فى يومٍ كان»	الكاف
«فأنجيناه»	«من جبال»	«فصبرٌ جميل»	الجيم
«منشورًا»	«إن شاء»	«على كل شيءٍ شهيد»	الشين
«فأنقذكم»	«من قبل»	«على كل شيءٍ قدير»	القاف
«مِنسأته»	«عَن سواء»	«قولًا سديدًا»	السين
«عِند»	«ومَن دخله»	«قِنْوانٌ دانية»	الدال
«يَنْطقون»	«وإن طائفتان»	«قومًا طاغين»	الطاء
«مُنزلين»	«فَإن زللتم»	«مُبَاركةٍ زيتونة»	الزاى
«انفروا»	«وإن فاتكم»	«عميٌ فهم»	الفاء
«مُنتهون»	«مِن تُراب»	«جَنَّاتٍ تجرى»	التاء
«منضود»	«مَن ضل»	«قومًا ضالين»	الضاد
«يَنظرون»	«مَن ظُلم»	«قُرًى ظاهِرة»	الظاء

هذا وللإخفاء ثلاث مراتب، وهى:

١- أعلى، عند الطاء والدال والتاء.

٢- أدنى، عند القاف والكاف.

٣- أوسط، عند باقى حروف الإخفاء.

ويتضح مما سبق أن السبب فى إخفاء النون الساكنة والتنوين مع أحد أحرف الإخفاء السابقة أن هذه الأحرف متوسطة المخارج مع النون، فهى ليست بعيدة جدًّا كما فى حروف الإظهار، ولا قريبة جدًّا كما فى حروف الإدغام.

وفى الإخفاء يقول الناظم:

والرابع الإخفاء عند الفاضل ... من الحروف واجب للفاضل
فى خمسة من بعد عشر رمزها ... فى كلم هذا البيت قد ضمنتها
صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما ... دم طيبًا زد فى تقى ضع ظالما[(١)]

(١) انظر: النشر ٢/ ٢٢ -٢٧، ومرشد المريد / ٦، ودراسات فى التجويد/ ١٥١، ودراسات فى أصوات اللغة / ١٥٨.

ثانيًا: أحكام الميم الساكنة

للميم الساكنة مع حروف الهجاء - عدا الألف اللينة - ثلاثة أحكام:

١- الإخفاء الشفوي:

ويتحقق إذا وقع بعد الميم الساكنة حرف واحد هو الباء، ويسمى إخفاءً شفويًّا[١].

مثاله: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾[٢]، ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾[٣]، والسبب في إخفاء «الميم» هنا هو اتحاد مخرجها مع الباء (من الشفتين) فأخفيت حتى يمكن النطق بها ساكنة مع الباء التي هي من مخرجها.

وفي الإخفاء الشفوي يقول الناظم:

والميم إن تسكن تجي قبل الهجَا ... لا ألف لينة لذي الحجا
أحكامها ثلاثة لِمنْ ضبط ... إخفاء إدغام وإظهار فقط
فالأول الإخفاء عند الباء ... وسَمِّه الشفوي للقراء

٢- الإدغام:

ويتحقق ذلك إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم مثلها، ويسمى إدغام مثلين صغير بغنة.

مثاله: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٤]، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟﴾[٥]، قال الناظم:

والثاني إدغام بمثلها أتى ... وسَمِّ إدغامًا صغيرًا يا فتى

---

(١) لخروج حروفه (الباء والميم) من الشفة.
(٢) آل عمران: من الآية/ ١٠١.
(٣) النساء: من الآية/ ١٥٧، والكهف: من الآية/ ٥.
(٤) البقرة: من الآية/ ٢٩.
(٥) البقرة: من الآية/ ٢٠.

٣- الإظهـــار:

ويتحقـق إذا وقع بعد الميم السـاكنة أى حرف من حروف الهجـاء عدا الباء والميم السابقتين، ويسمى الإظهار حينئذ إظهارًا شفويًّا[١].

مثاله فى كلمة: ﴿وَٱمۡضُواْ﴾[٢]، ﴿أَمۡثَالُكُم﴾[٣].

مثاله فى كلمتين: ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةً﴾[٤]، ﴿لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ﴾[٥]، ﴿وَهُمۡ ظَـٰلِمُونَ﴾[٦].

قال الناظم:

والثالـث الإظهـار فى البقية ... منْ أحـرف وسَمِّهـــا شفويـــة[٧]

(١) أنـواع الإظهـار ثلاثة: الإظهار الحلقى؛ لأنه خاص بحروف الحلق، والإظهار الشـفوى لخروج حروفه من الشـفة، والإظهار المطلق الذى ليس بحلقى ولا شفوى، كما فى: بُنْيان، وقِنْوان.

(٢) الحجر: من الآية/ ٦٥.

(٣) الأنعام: من الآية/ ٣٨، والأعراف: من الآية/ ١٩٤، ومحمد: من الآية/ ٣٨، والواقعة: من الآية/ ٦١.

(٤) الحاقة: من الآية/ ١٢.

(٥) التوبة: من الآية/ ٤.

(٦) النحل: من الآية/ ١١٣، والعنكبوت: من الآية / ١٤.

(٧) النشر ١/ ٢٢٢، ودراسات فى التجويد/ ١٥١، ١٥٢، ومرشد المريد/ ٨، ٩.

ثالثا: المد والقصر

المد لغة: الزيادة، واصطلاحًا: إطالة زمن الصوت بحرف المد عن المد الطبيعى، وهو الذى لا يقوم الحرف ذاته دونه، وحروف المدِّ ثلاثة:

١- الألف، ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحًا.

٢- الياء الساكنة المكسور ما قبلها.

٣- الواو الساكنة المضموم ما قبلها.

والقصر لغة: الحبس، واصطلاحًا: إثبات حرف المد من غير زيادة عليه(١).

سبب المد:

للمد سببان: إما لفظى، وهو المد للهمز أو السكون، وسيأتى الحديث عنه قريبًا.

وإما معنوى، حيث يقصد به المبالغة فى النفى، وهو سبب قوى مقصور على العرب وإن كان أضعف من السبب اللفظى عند القراء، ومنه مد التعظيم فى نحو: «لا إله إلا الله، لا إله إلا هو، لا إله إلا أنت».

ويقال له أيضًا: مد المبالغة(٢).

أقسام المد:

ينقسم المد إلى قسمين:

(ا) أصلى. (ب) فرعى.

(ا) المد الأصلى:

هو الذى لا يتوقف على سبب من همز أو سكون مثل: «مالك الملك»، «الذين»، «يقول»، فالألف والياء والواو فى الأمثلة السابقة تمد فى النطق بمقدار حركتين:

---

(١) انظر: النشر ١/ ٣١٣، ومرشد المريد/ ١٢.

(٢) انظر: النشر ١/ ٣٤٤.

الحركة فى القراءة - كما حددها العلماء فى العصر الحديث - الفترة الزمنية اللازمة لنطق الحرف المتحرك مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة: مثل قَ، قُ، قِ، أما قول بعض القدماء: «الحركة مقدار زمن قبض الأصبع أو بسطه»(١) فقول ضعيف، ويُضَعَّف بأن هذا المقدار يختلف من شخص لآخر، بل إنه يختلف فى الشخص الواحد منْ حالة لأخرى.

ويسمى هذا المدُّ طبيعيًّا، وحروفه: الألف والياء والواو السابقة.

قال الناظم:

والمد أصلى وفرعى له ... وسَمِّ أولًا طبيعيًّا وهو
ما لا توقف له على سبب ... ولا بدونه الحروف تُجْتلب
بل أى حرف غير همز أو سكون ... جا بعد مد فالطبيعى يكون
حروفه ثلاثة فعيها ... من لفظ وَايٍ وهى فى نوحيها
والكسر قبل اليا وقبل الواو ضم ... شرط وفتح قبل ألف يلتزم

(ب) المد الفرعى:

وهو الذى يتوقف مده على سبب من همزة أو سكون، وله ستة أقسام:

١- **المد المنفصل**: وهو أن يكون حرف المد فى كلمة والهمز بعده فى الكلمة الأخرى نحو: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾(٢)، ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾(٣)، ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾(٤).

وهذا المد قد يسمى بالمد الجائز لجواز قصره ومده، ويجوز مده مقدار حركتين أو أربع أو خمس.

٢- **المد المتصل**: وهو أن يكون حرف المد والهمز فى كلمة واحدة نحو: «السماء»، «تفىء»، «تبوء».

(١) انظر: المختصر فى أصوات اللغة العربية: د/ جبل/ ١٦٥، وقد قدر المحدثون طول الحركات بالأجهزة الحديثة فقدروا طول الحركة القصيرة بنحو١٦٪ من الثانية، والمد الطبيعى بنحو٣٢٪ من الثانية... إلخ.

(٢) الكوثر: ١.

(٣) الذاريات: من الآية/ ٢١.

(٤) التحريم: من الآية/ ٦.

وهذا المد يسمى بالمد الواجب لوجوب مده وعدم جواز قصره، ويمد بمقدار أربع حركات أو خمس أو ست.

قال الناظم:

والآخـر الفـرعيُّ مـوقـوفٌ على سبب كهمز أو سكـون مسجلا
وجـائـز مـد وقـصـر إن فصل كـل بكلمـة وهـذا المنفصل
فـواجـب إن جـاء همز بعد مدّ فـي كلمـة وذا بمتصل يُعدّ

وسبب المد لأجل الهمز أن حرف المد خفى والهمز صعب، فزيد فى الخفى ليتمكن من النطق بالصعب[1].

٣- المد اللازم: هو أن يقع بعد حرف المد سكون ثابت وصلًا ووقفًا.

■ أقسامـــه:

(ا) مـد لازم كلمـى مثقـل: وذلـك إذا كان المـد فـى كلمة مدغمًـا مثل: «كافة»، «الحاقة».

(ب) مـد لازم كلمـى مخفـف: وذلـك إذا كان المد فى كلمـة وليس مدغمًا مثل: «ءالئن».

(جـ) مـد لازم حرفـى مثقل: وذلك إذا كان المد فى حـرف وكان مدغمًا مثل: «آلم»، «طسم».

(د) مـد لازم حرفى مخفـف: وذلـك إذا كان المد فى حرف وليـس مدغمًا، مثل: «ق»، «ص».

والمد اللازم فى الأنواع الأربعة السابقة يجب مده بمقدار ست حركات.

قال الناظم:

ولازم إن الســكـون أُصِّــلا وصـــلًا ووقـفـًـا بعد مَـدٍّ طُـوِّلا
كـلاهـمـا مـثـقَّـلٌ إن أدغـمـا مـخـفّـف كـلّ إذا لـم يدغما

(١) النشر ١/ ٣١٣، ٣١٤، ودراسات فى التجويد/ ١٣٦.

٤- مد البدل: وهو ما تقدم فيه الهمز على حرف المد، وذلك لإبدال حرف المد من الهمز مثل: «آمنوا، إيمانًا، أوتوا».

وحكمه: القصر بأن يمد حركتين، قال الناظم:

أو قدم الهمز على المدِّ وذا   بدل كآمنوا وإيمانًا خذا

٥- مد اللين: وهو مد الياء والواو الساكنتين المفتوح ما قبلهما مثل: بَيْت، وخَوْف، وسمى لِينًا لأن النطق به فيه لين وسهولة.

وحكمه: عدم المد مطلقًا حالة الوصل، أما فى الوقف فسيأتى حكمه قريبًا.

قال الناظم:

واللين منها اليا وواوٌ سُكِّنا   إن انفتاحٌ قبل كُلٍّ أُعلنا(١)

٦- **المد العارض للسكون**: ويكون حينما يقع بعد حرف المد أو اللين سكون عارض حالة الوقف.

(أ)		(ب)	
أمثلة المد العارض للسكون غير المهموز	**حرف المد**	**أمثلة المد العارض للسكون المهموز**	**حرف المد**
يؤمنونْ	الواو	والسماءْ	الألف
من الرحمنْ	الألف	من الماءْ	الألف
نستعينْ	الياء	يشـــــاءْ	الألف
خَوْفْ	الواو		

التوضيـــح:

من الأمثلة السابقة يتبين لنا أنه إذا وقع بعد حرف المد أو حرف اللين سكون عارض حالة الوقف، سمى المد عارضًا للسكون، وذلك لعروض السكون حالة الوقف.

---

(١) مرشد المريد/ ١٥، والوافى/ ٧٢.

فإن كان غير مهموز كما فى أمثلة المجموعة (أ) فإما أن يكون منصوبًا أو مجرورًا أو مرفوعًا.

فإن كان منصوبًا مثل «يؤمنون» ففيه ثلاثة أوجه، وهى: مده حركتين أو أربعًا أو ستًّا بالسكون، أى الخالى من الرَّوْم[١] والإشمام[٢].

وإن كان مجـرورًا مثل: «من الرحمن»، ففيه أربعة أوجه، وهى الثلاثة المذكورة فى المنصوب، ويزاد «الروم» على القصر.

وإن كان مرفوعًا مثل «نستعين» ففيه سبعة أوجه هى: الأربعة المذكورة فى المجرور، ويُزاد الإشمام على كل من القصر والتوسط والمد.

أمـا العارض للسـكون **إذا كان حرف لين** مثل: بَيْت، خَوْف، فـإن الروم يكون على عـدم المـد مطلقًا؛ لأن الروم مثل حالة الوصل، وقد علمت أنه فى حالة الوصل لا يُمَدُّ أصلًا، وعلى ذلك فهذا النوع لا يمد مطلقًا.

وإن كان مهمـوزًا كمـا فى أمثلة المجموعة (ب)، فإمـا أن يكون منصوبًا أو مجرورًا أو مرفوعًا، فإن كان منصوبًا مثل «السـماء» ففيه ثلاثة أوجه، وهى مده أربعًا أو خمسًـا أو ستًّا بالسكون المحض.

وإن كان مجرورًا مثل: «من الماء» ففيه ستة أوجه، وهى: الثلاثة التى فى المنصوب ومثلها مع الروم.

وإن كان مرفوعًـا مثـل «يشـاء» ففيه تسـعة أوجه، وهـى الثلاثة التى فـى المنصوب ومثلها مع كل من الروم والإشمام[٣].

---

(١) الرَّوْم: الإتيان ببعض الحركة يسمعها القريب دون البعيد، ويكون فى المجرور والمرفوع.

(٢) الإشمام: الإشارة بالشفتين إلى جهة الضم بعد تسكين الحرف بحيث يدركه المبصر، ويكون فى المرفوع فقط. الإتقان فى علوم القرآن ١/ ١١٧.

(٣) مرشد المريد/ ١٥، ١٦، والنشر ١/ ٣٣٥-٣٣٨، والإتقان ١/ ١٢٧.

رابعًا: الفتح والإمالة

من ظواهر التناسب الصوتى والأداء القرآنى من أجل الخفة على اللسان والسهولة فى النطق: الفتح والإمالة.

ولا يمكننا الحديث عن الإمالة دون معرفة معنى الفتح وأقسامه.

معناهما:

الفتح: هو فتح القارئ لِفِيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضًا: التفخيم، وربما قيل له: النصب، وينقسم إلى فتح شديد ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب. والمتوسط: هو ما بين: الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهو الذى يستعمله أصحاب الفتح من القراء، وقد يقال له: الترقيق.

والإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء (كثيرًا)، وهو المحض، ويقال له: الاضطجاع والبطح، وربما قيل له الكسر، و(قليلًا) وهو ما بين اللفظين، ويقال له أيضًا: التقليل والتلطيف وبين بين.

وهى قسمان: شديدة ومتوسطة، وكلتاهما جائزة فى القراءة، جارية فى لغة العرب، فالشديدة حقُّها أن تُقَرِّبَ الفتحة من الكسرة والألف الساكنة من الياء من غير قلب خالص ولا إشباع مبالغ فيه، والمتوسطة حقها أن يؤتى بالحرف بين الفتح المتوسط وبين الإمالة الشديدة.

ويمتنع فى الإمالة المحضة: القلب الخالص، والإشباع المبالغ فيه(١).

والفتح والإمالة لهجتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم.

فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس.

(١) انظر: النشر ٢/ ٢٩، ٣٠، والإتحاف / ٧٤.

أيهما الأصل: الفتح أم الإمالة؟

اختلف العلماء في ذلك اختلافًا بينًا، وأكثرهم على أن الفتح هو الأصل، والإمالة فرع داخل عليه، وذلك لأسباب منها:

١- أن كل حرف يمال فجائز أن يفتح ابتداء، ولا يجوز أن يمال إلا عند وجود سبب يدعو إلى إمالته، كالياء والكسرة ونحوهما.

٢- أن الإمالة تجعل الحرف بين حرفين، وليس الأصل أن يكون الحرف بين حرفين، إنما الأصل أن يخرج كل حرف من موضعه خالصًا غير مختلط بغيره.

٣- أن الصحابة - رضوان الله عليهم - رسموا المصاحف كلها: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ و﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾ و﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾ و﴿ٱلنَّجَوٰةِ﴾ و﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ و﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ بالواو، وأجاب عن ذلك النحويون بأن قالوا: رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم فتوهموا الشدة المفخمة أنها واو ورسموها على ذلك، ودل هذا كله على أن الأصل هو الفتح.

أما ابن جني فيعلل كتابة (الصلاة) ونحوها بأن الألف مالت نحو الواو، وبذلك يضيف أنواعًا أخرى للإمالة غير إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، حيث يقول: «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سُلام عليك، وقُام زيد، وعلى هذا كتبوا: الصلوة والزكوة والحيوة بالواو؛ لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا: إحْديهما وسوّيهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة... وأما الفتحة الممالة نحو الضمة فالتي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلاة... وأما الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: قُيل وبُيع وغُيض وسُيق... وأما الضمة المشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة: مررت بمَذْعُورِ، وهذا ابن بُور، نحوت بضمة العين والياء نحو كسرة الراء فأشممتها شيئًا من الكسرة، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلة، فكذلك الواو أيضًا بعدها مشوبة بروائح الياء»[1].

(١) سر الصناعة ١/ ٥٠ - ٥٣.

وذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر، وكذلك التفخيم والترقيق، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب. قالوا: ووجود السبب لا يقتضى الفرعية ولا الأصالة(١).

أقول: ويمكن التوفيق بين الرأيين بأن الفتح هو الأصل باعتبار التغليب، أى أن الفتح أكثر فى الاستعمال وأهله أكثر فصاحة، وعلى القول بأنهما أصلان، أى أن الفتح أصل عند أهله، والإمالة أصل عند أهلها لا يتكلمون بغيره.

الإمالة من الأحرف السبعة:

عن حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآن بألحان العرب»، وقال على بن معبد ونعيم: «بِلُحُون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين». قال أبو عمرو الدانى: «فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة، ومن لحون العرب وأصواتها؛ لأن لحونها وأصواتها مذاهبها وطباعها، فقد ثبت بها الخبر، وصحت بها القراءة عن رسول الله ﷺ، كما ثبت الخبر بالفتح، وصحت القراءة به عنه ﷺ»(٢).

أسباب الإمالة:

قال العلماء: هى عشرة أو أكثر، ترجع إلى شيئين: الكسرة والياء:

١- كسرة متقدمة، ولابد أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل، وأقله حرف واحد مفتوح نحو كتاب، وحساب، أما الفتحة المُمالة فلا فاصل بينها وبين الكسرة، نحو: «إمامًا».

٢- ياء متقدمة، نحو: الحياة، شيبان.

٣- كسرة متأخرة، نحو: عابد، من الناس، فى النار.

٤- ياء متأخرة، نحو: مبايع.

(١) النشر ٢/ ٣٢، والحجة لابن خالويه/ ٦٦.

(٢) انظر: الإتقان ١/ ١٢٠.

٥- كسرة مقدرة فى المحل الممال، نحو: خاف، أصله: (خَوِف).

٦- ياء مقدرة فى المحل الممال، نحو: يخشى، أتى.

٧- كسرة تعرض فى بعض أحوال الكلمة (طاب - جاء - زاد)؛ لأن الفاء تكسر من ذلك إذا اتصل بها الضمير المرفوع من المتكلم والمخاطب ونون جماعة الإناث.

٨- إمالة لأجل الإمالة نحو: (رأيت عمادًا) فأمالوا الألف المبدلة من التنوين لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة.

٩- إمالة لأجل الشبه نحو: (الحسنى)، قالوا إنهم أمالوا ألفها لشبهها بألف (الهدى).

١٠- إمالة لأجل كثرة الاستعمال مثل: الحجاج، والناس، وحروف الهجاء فى فواتح السور.

١١- رسم المصحف؛ حيث وجدوا فى المصحف الياءات فى مواضع الألفات فأتبعوا الخط وأمالوا؛ ليقربوا من الياءات.

وهذه الأسباب السابقة تشتمل على نوعى التأثر بين الأصوات فى الكلمة: الرجعىّ والتقدمى، فالإمالة للكسرة والياء المتقدمتين تأثر تقدمى، إذ يتأثر الصوت الثانى بالأول، والإمالة للكسرة والياء المتأخرتين تأثر رجعى، إذ يتأثر الأول بالثانى[١].

الإمالة فى اللهجات العربية:

تكاد تجمع كتب النحو والتفسير والقراءات وسائر كتب التراث على أن الفتح لغة بعض أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس، وبعض روايات تنسب الإمالة أيضًا لأكثر اليمن وسعد بن بكر.

ويروى حديث عن صفوان بن عسال أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ: (يا يحيى)، فقيل له: يا رسول الله: تميل وليس هى لغة قريش؟ فقال: «هى لغة الأخوال بنى سعد»[٢].

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية/ ١٣٦،١٣٧، النشر ٢/ ٣٢-٣٥، والإتقان١/ ١٢٠.

(٢) الإتقان١/ ١٢٠.

وقد قيل: إن هذا الحديث موضوع[١]، وعلى الرغم من ذلك فإن سعد بن بكر تميل.

كما نسبت الإمالة إلى هوازن وبكر بن وائل وقضاعة وبعض الحجازيين، والإمالة أيضًا لم تكن مقصورة على تلك القبائل التى أشار إليها الأقدمون فى كتبهم، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعًا مما ذكروه، فقد كانت تنتظم معظم القبائل العربية وإن تفاوتت قلة وكثرة[٢].

وإذا أردنا تحديد مواطن القبائل المميلة يمكننا أن نقول: إن الإمالة تنسب إلى القبائل البادية فى وسط الجزيرة وشرقيها، والفتح إلى غربيها، ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية يميلون فى كلامهم إلى الاقتصاد فى المجهود العضلى، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات.

ولنأخذ مثالًا من الواقع اللغوى - على ضوء ما سبق - ليوضح لنا اللهجات فى حركة فاء الثلاثى الأجوف الماضى إذا بنى للمجهول مثل: قال وباع، وهى كالآتى:

١- الكسر: قيل وبيع فى لغة قريش ومن جاورهم من بنى كنانة.

٢- الضم: قول وبوع، وهى لغة هذيل.

٣- إمالة الكسر نحو الضم، فتميل الياء الساكنة نحو الواو، وهى لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد، وهى قراءة هشام والكسائى ورويس: «قيل وغيض»[٣].

فإخلاص الكسر عند قريش ومن جاورهم من بنى كنانة يناسب ما يذهبون إليه من الفتح، ويمكن نسبة هذه اللهجات إلى بيئة الحجاز، وإن اختلفت هذيل مع بيئتها فى هذه اللهجة، والقبائل التى تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هى نفسها القبائل التى

(١) انظر: الإمالة فى القراءات واللهجات، د/ عبد الفتاح شلبى / ١٣٣، ١١٤.

(٢) نفسه / ١١٧ وما بعدها.

(٣) انظر: الإتحاف/ ٢٥٦، وحاشية الصبان ٢/ ٦٢، ٦٣.

اشتهرت بالإمالة، وهى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وإن ذكرت هنا قبيلة عقيل دون أن تذكر فى القبائل المميلة، فهى قبائل المنطقة الشرقية[١].

الإمالة فى القراءات:

مما سبق يمكننا أن ننسب الفتح لقراء البيئة الحجازية مثل ابن كثير المكى، ونافع وأبى جعفر المدنيين، وأن ننسب الإمالة لقراء الكوفة حيث تأثروا بتلك القبائل التى أقامت بالعراق أو تعودت النزوح إليه، وهى قبائل قريبة مساكنها من العراق، وعرفت لهجاتها بالإمالة التى كانت الصفة الشائعة بين قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وشاعت بعد الإسلام فى اللهجات العربية ببلاد العراق، ويؤيد ذلك أن الكسائى سُئِل مرة: «إنك تميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا طباع العربية»، وقد عقب على قول الكسائى أبو عمرو الدانى فى كتابه «التيسير» فقال: «إن الكسائى أراد بذلك أن الإمالة لغة أهل الكوفة وهى باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب»؛ أى أن الإمالة ظلت شائعة بين أهل الكوفة حتى عهد أبى عمرو الدانى فى أوائل القرن الخامس الهجرى[٢].

■ **والإمالة عند القراء نذكر أهم مواضعها فيما يأتى:**

١- أمال حمزة والكسائى وخلف كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت فى القرآن، سواء كانت فى اسم أو فعل، نحو: (الهدى - مأواه - مثواه - أزكى - الأعلى - موسى - عيسى)، و(أتى، سعى، يرضى، اجتبى، استعلى)، ووافقهم أبو عمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف ممالة بأى وزن كان، نحو: (ذكرى، بشرى، النصارى، اشترى، وأرى).

٢- أمال أبو عمرو والكسائى فى رواية كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة، سواء أكانت الألف أصلية أم زائدة، نحو: (الدار، النار، القهار، الغفار، الكفار).

٣- أمال حمزة الألف التى هى عين من الفعل الثلاثى الماضى، نحو: (زاد، شاء، ران، خاف)، ووافقه الكسائى فى: (ران).

(١) انظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية/ ١٤١، ١٤٢.
(٢) فى اللهجات العربية/ ٦٠ - ٦٣.

٤- إمالة أحرف الهجاء فى أوائل السور، أمال الراء من (ألر) أبو عمرو وحمزة والكسائى، والياء من (يس) ابن عامر وحمزة والكسائى، والهاء من (كهيعص) أبو عمرو والكسائى، والهاء من (طه) أبو عمرو وحمزة.

٥- اختلفوا فى الإمالة والفتح من قوله: ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾(١)، فقرأ ابن كثير وعاصم - فى رواية - وحمزة بفتح الهاء، وأمالها نافع وأبو عمرو وعاصم فى رواية، والكسائى.

٦- اختلفوا فى فتح الراء وإمالتها من قوله: ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾(٢) فقرأ ابن كثير وعاصم - فى رواية - ونافع بالفتح، وقرأ أبو عمرو والكسائى وعاصم - فى رواية - وحمزة والكسائى بالإمالة.

٧- واختلفوا فى قوله: (الهدى) وما أشبه من نحو: (العمى والهوى واستوى وأعطى)؛ فالكسائى يميل ذلك كله، وأبو عمرو فى رءوس الآى، وعاصم يفتح إلا (رأى ورمى ورآه) فيميل، وحمزة يميل ذوات الياء، وابن كثير وابن عامر يفتحان.

٨- اختلفوا فى قراءة: (قيل، وغيض، وحيل، وسيئت، وسيء، وجيء، وسيق)؛ فقرأ الكسائى بإمالة الكسرة نحو الضمة ووافقه نافع فى (سيء وسيئت)، وقرأ الباقون بإخلاص الكسر، وقرأ عيسى (سوء) بإخلاص الضم(٣).

٩- ونستنتج من ذلك:

(أ) أن القراء الذين اشتهروا بالإمالة وأكثروا منها: حمزة، والكسائى، وأبو عمرو، وخلف العاشر.

(ب) أن القراء الذين رويت عنهم الإمالة بقلة: نافع وعاصم.

(جـ) أن القراء الذين اشتهروا بالفتح: ابن كثير ونافع وأبو جعفر.

---

(١) التوبة: من الآية/ ١٠٩.

(٢) يونس: من الآية/ ١٦.

(٣) انظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية/ ١٣٧ - ١٣٩، والإتحاف / ٢٧٦، والنشر ٢/ ٣٥ - ٥٣.

(د) أن الفتح كان شائعًا فى البيئة الحجازية والإمالة عند أهل الكوفة والبصرة، أى فى البيئة العراقية.

(هـ) حروف الإمالة ثلاثة: الألف والراء والهاء، وإنما سميت حروف إمالة لأن الإمالة فى كلام العرب لا تكون إلا فيها، لكن الألف والهاء لا تتمكن إمالتهما إلا بإمالة الحرف الذى قبلهما، والهاء لا تمال إلا فى الوقف، والراء والألف يمالان فى الوقف والوصل[1].

❊ ❊ ❊

(١) الرعاية/ ٤٤.

خامسًا: الوقــف

معناه وأهميته:

الوقـف لغة: الحبس، واصطلاحًـا: قطع الصوت عن القراءة زمنًا يسيرًا يتنفس فيه القارئ عادة مع نية استئناف القراءة.

ومعرفـة أحكام الوقف والابتداء من الأمور المهمة التى ينبغى للقارئ أن يحيط بها علمًا؛ حتى يتدبر القرآن ويتفهم أحكامه.

دليلــه:

الأصل فيه ما أخرجه النحاس قال: حدثنا محمد بن جعفر الأنبارى قال: سـمعت عبـد اللـه بـن عمر يقول: «لقد عشـنا بُرْهـة من دهرنـا وإن أحدنا ليؤتـى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السـورة علـى محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامهـا وما ينبغى أن يوقف عنـده كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالًا يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ولا زجره وما ينبغى أن يوقف عنـده منه». قـال النحاس: فهذا الحديث يدل على أنهم كانـوا يتعلمون الأوقاف كما يتعلمون القرآن[١].

أقسامــه (مواضعه المتعلقة بالمعنى):

تنقسم أحكام الوقف إلى أربعة أقسام:

١- **التام**: ما تم معناه ولم يتعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى، مثل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٢].

وأكثر ما يكون ذلك فى نهاية القصص وخواتيم السور.

---

(١) الإتقان ١/ ١٠٩، ١١٠.

(٢) البقرة آية: ٥.

وحكمه: حسن الوقف عليه والابتداء بما بعده.

٢- **الكافي**: ما تم من جهة اللفظ وتعلق بها بعده من جهة المعنى، مثل قوله تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[(١)].

وحكمه: كسابقه.

٣- **الحسن**: ما تم فى ذاته وتعلق بها بعده لفظًا ومعنى، مثل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[(٢)].

وحكمه: جواز الوقف عليه ثم يحسن وصله بما بعده إلا إذا كان رأس آية فإنه يحسن الوقف عليه.

٤- **القبيح**: ما لم يتم معناه لتعلقه بها بعده لفظًا ومعنى، مثل الوقف على «إله» من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾[(٣)].

وحكمه: قبح الوقف عليه إلا لضرورة، فإذا وقف عليه لضرورة كانقطاع نَفَس يجب وصله[(٤)].

وسننقل - فيما يلى - نصًا من كتاب «النشر فى القراءات العشر»[(٥)]؛ ليتذوق القارئ أسلوب كتب التراث فى هذا الفن، يقول ابن الجزرى:

«باب الوقف على أواخر الكلم»:

تقدم أول الكتاب[(٦)] حد الوقف، وأن له حالتين: الأولى ما يوقف عليه وتقدمت[(٧)]، ثم الثانية ما يوقف به، وهو المقصود هنا، فاعلم أن للوقف فى كلام العرب أوجهًا[(٨)]

(١) البقرة: من الآية/ ٦.
(٢) الفاتحة: من الآية/ ٢.
(٣) المائدة: من الآية/ ٧٣.
(٤) انظر: الإتقان ١/ ١٠٠- ١١٥، ومرشد المريد/ ١٦، ودراسات فى التجويد/ ١٣٠.
(٥) انظر النشر: ٢ / ١٢٢٠، ١٢١.
(٦) انظر: المرجع السابق ١ / ٢٢٤.
(٧) انظر: المرجع السابق ١/ ٢٢٤ وما بعدها.
(٨) أو هيئات.

متعددة، والمستعمل منها عند أئمة القراء تسعة، وهى: السكون، والروم، والإشمام، والإبدال، والنقل، والإدغام، والحذف، والإثبات، والإلحاق.

توضيح أوجه أو هيئات الوقف:

(فالإلحاق) لما يلحق آخر الكلم من هاءات السكت[١].

(والإثبات) لما يثبت من الياءات المحذوفات وصلًا، وسنذكر هذين النوعين فى الباب الآتى بعد[٢].

(والحذف) لما يحذف من الياءات الثوابت وصلًا، كما سيأتى فى باب الزوائد[٣].

(والإدغام) لما يدغم من الياءات والواوات فى الهمز بعد إبداله، كما تقدم فى باب وقف حمزة[٤].

(والنقل) لما تقدم فى الباب المذكور من نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها وقفًا[٥].

(والبدل) يكون فى ثلاثة أنواع: أحدها الاسم المنصوب المنون يوقف عليه بالألف بدلًا من التنوين[٦]، الثانى الاسم المؤنث بالتاء فى الوصل يوقف عليه بالهاء بدلًا من التاء إذا كان الاسم مفردًا[٧]، وقد تقدم فى باب هاء التأنيث فى الوقف، الثالث إبدال حرف المد من الهمزة المتطرفة بعد الحركة وبعد الألف كما تقدم فى باب وقف حمزة أيضًا، وهذا الباب لم يقصد فيه شىء من هذه الأوجه الستة، وإنما قصد فيه بيان ما يجوز الوقف عليه بالسكون وبالروم وبالإشمام خاصة.

(١) السكت: قطع الصوت زمنًا، وهو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس. النشر ١/ ٢٤٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٦١ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٧٩ وما بعدها.

(٤) انظر: المرجع السابق ١/ ٤٣٠ وما بعدها.

(٥) انظر: المرجع السابق ١/ ٤٣٢.

(٦) مثل رأيت زيدًا بالألف فى حالة الوقف.

(٧) مثل الوقف على قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖ﴾[البقرة: ٢٦١] بالهاء بدلًا من التاء.

(فأما السكون) فهو الأصل في الوقف على الكلمة المتحركة وصلًا؛ لأن معنى الوقف الترك والقطع، من قولهم: وقفت عن كلام فلان؛ أي تركته وقطعته، ولأن الوقف أيضًا ضد الابتداء، فكما يختص الابتداء بالحركة كذلك يختص الوقف بالسكون، فهو عبارة عن تفريغ الحرف من الحركات الثلاث، وذلك لغة أكثر العرب، وهو اختيار جماعة من النحاة وكثير من القراء... إلخ.

سادسًا: هاء الكناية - السكت - القطع

١- هاء الكناية:

هى هاء الضمير المكنى به عن المفرد الغائب.

فإذا وقعت بين ساكنين مثل: ﴿فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[١] أو بين متحرك وساكن مثل: ﴿عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[٢]، أو العكس بين ساكن ومتحرك مثل: ﴿فِيهِ هُدًى﴾[٣]، فلا تمد فى كل هذه المواضع من الصلة.

أما إذا وقعت بين متحركين فتوصل بواو إن كانت مضمومة، وبياء إن كانت مكسورة مثل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾[٤]، وذلك فى الوصل، ومعلوم أن هاء الضمير الأصل فيها أن تضم، لكن إذا وقع قبلها كسر أو ياء ساكنة كسرت، ويستثنى من ذلك: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ﴾[٥]، و﴿عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾[٦]، وعند حفص سكون الهاء فى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[٧]، ﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾[٨]، وصلًا ووقفًا، وكذلك عند تسكين القاف: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾[٩]، وقصر الهاء فى ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[١٠]، ومدّ حفص الهاء فى: ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[١١] فى الوصل.

---

(١) البقرة: من الآية/ ١٨٥.

(٢) الكهف: من الآية/ ١.

(٣) البقرة: من الآية/ ٢.

(٤) الانشقاق: ١٣.

(٥) الكهف: من الآية/ ٦٣.

(٦) الفتح: من الآية/ ١٠.

(٧) الأعراف: من الآية/ ١١١، والشعراء: من الآية: ٣٦.

(٨) النمل: من الآية: ٢٨.

(٩) النور: من الآية/ ٥٢.

(١٠) الزمر: من الآية/ ٧.

(١١) الفرقان: من الآية/ ٦٩.

٢- السكـــت:

لغـةً: الامتنـاع، واصطلاحًا: قطـع الصوت زمنًا أقـل من زمن الوقـف دون تنفس، وليـس قياسـيًّا، بـل يقتصر فيه على ما ورد فـى أربعة مواضع، ويُرمـز له فى المصحف بكتابة (س) فوق الحرف المسكوت عليه، وغالبًا ما يكتب فى هامش المصحف أمام السطر الذى فيه الحرف المسكوت عليه (سكتة لطيفة)، والمواضع الأربعة هى:

الألف فى (عوجًا) فى سورة الكهف فى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا﴾[1].

الألف من (مرقدنا) فى قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ﴾[2].

النون من (مَنْ راق) فى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾[3].

اللام من (بل ران) فى قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾[4].

ويضـاف لهـذه الأربعة: الهاء مـن ﴿مَالِيَهْۜ ۝٢٨ هَلَكَ﴾[5] إن أظهرت الهـاء ولـم تدغمها إدغام مثلين، وآخر الأنفال إن وصلته بأول براءة لعدم ذكر البسـملة بينهما: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ۝٧٥ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾.

٣- القطـــع:

لغة: الإبانة، واصطلاحًا: قطع القراءة والانتهاء منها، ولا يكون إلا على رءوس الآى، بخلاف الوقف الذى يكون وسط الآيات وعلى أواخرها، أما التحريك والسكون فهما مرتبطان بالوقف والابتـداء، ولذا فهما متعلقان بالحرف الأخير من الكلمات القرآنية، فحيث وقفت سكّنت، وحيث وصلت حرّكت، إلا أن يكون السكون ثابتًا[6].

---

(١) الكهف: من الآية/ ١، ٢.

(٢) يس: من الآية/ ٥٢.

(٣) القيامة: ٢٧.

(٤) المطففين: من الآية/ ١٤.

(٥) الحاقة: من الآيتين/ ٢٨، ٢٩.

(٦) انظر: المختصر المفيد/ ٣٤، ٣٥.

سابعًا: الهمـــزات

همزة الوصل:

هـى التـى يتوصل بها إلـى نطق الحرف السـاكن، وتثبـت نطقًا إذا ابتدئـت بالكلمة الداخلـة عليهـا إذا كان أولها حرفًا سـاكنًا، وتحذف نطقًا إذا وُصلـت الكلمة بما قبلها لعدم الحاجة إليها عندئذ. وهى تأتى أول الأسـماء والأفعال، وفى (ال) من الحروف؛ أما فى الأسماء فتأتى قياسًا أول مصدر الخماسى والسداسى، وسماعًا فى عشر كلمات هى: «اسم واست وايم وايمن واثنان واثنتان وابن وابنة وامرؤ وامرأة».

وتكون دائمًا مع الاسـم مكسـورة ما عدا «ايم وايمن» فالفتـح فيهما أرجح. أما فى الحـروف فلا توجد إلا فى «ال» المعرفة قياسًـا، وتفتـح وجوبًا، وهناك من قال بحرفية «ايمن»، وسبق أن الفتح فيها أرجح مع جواز الكسر.

وتحذف همزة الوصل خطًّا ولفظًا فى «ال» إذا دخل عليها لام الجر مثل: «للرؤيا- للفقراء»، وتحذف لفظًا لا خطًّا مع بقية حروف الجر مثل: «بالله - تالله».

أمـا همـزة الوصل فى الأفعال فهى قياسـية، ولا تقع إلا فى الأمـر والماضى - دون المضارع- فتكون فى ماضى الخماسـى مثل: «اشترى»، والسداسى مثل: «استسقى»، وفى أمر الثلاثى والخماسى والسداسى مثل: «اضرب، وانتصروا، واستغفر».

وحركـة البـدء بها تكون مضمومـة إذا كان ثالـث الفعل مضمومًا ضمًّـا لازمًا مثل: «أُسـتُحفظوا، أُجتُثـت، أُبتُلـى، أُدعُ، أُنظُـر، أُقتُلـوا، أُخرجُـوا». أما مع الضـم العارض لمناسبة الواو فى: «اِقْضُوا، واِبنُوا، اِمضُوا» فتكسر ابتداء.

فـإذا كان ثالـث الفعل مفتوحًا أو مكسـورًا كسـرًا أصليًّـا ابتدأنا بها مكسـورة مثل: «انقلبوا، ارتضى، انطلقتم، استغفر، اهدنا، اصبر، اكشف عنا».

والخلاصة: أن همزة الوصل فى الفعل يبدأ بها مكسورة وجوبًا إذا كان ثالثه مضمومًا ضمًّا عارضًا، أو ثالثه مكسورًا كسرًا أصليًّا أو مفتوحًا. ويبدأ بها مضمومة وجوبًا إذا كان ثالث الفعل مضمومًا ضمًّا لازمًا أو مكسورًا كسرًا عارضًا».

همزة القطع:

هى الهمزة التى تثبت وصلًا وبدءًا، وهى قياسية فى الأفعال الثلاثية عدا الأمر منها ومصدرى الثلاثى والرباعى.

وتفتح فى ماضى الثلاثى المبنى للمعلوم مثل: «أَذِنَ»، وفى ماضى الرباعى المبنى للمعلوم: «ألهاكم»، وفى المضارع مثل: «أعمل»، وفى أمر الرباعى مثل: «أَحسِن». أما مصدر الثلاثى فأحيانًا تكون مفتوحة وأحيانًا تكون مكسورة مثل: «أَكْلًا - إِثم».

وتكسر فى مصدر الرباعى مثل: «إطعام»، ومصدر الثلاثى المسموع بالكسر مثل: «إفك - إثم».

وتضم فى مضارع الثلاثى المزيد: «أُبْرِئ، أُمِيت»، وفى مضارع الثلاثى المضعف مثل: «أُبرِّئ»، وفى ماضى الثلاثى المبنى للمجهول: «أُمِروا»، وكذلك ماضى الرباعى المبنى للمجهول: «أُوحِى».

أما فى الحروف؛ فهى همزة قطع مثل: «إن، كأن» ما عدا «ال» فهى همزة وصل، وإذا اجتمعت همزتا الوصل والقطع معًا فى كلمة؛ فإما أن تتقدم همزة الوصل على القطع أو العكس. مثال تقدم همزة الوصل: «اؤتمن»، ويكون ذلك فى الأفعال دائمًا فإن وصلت الكلمة بما قبلها سقطت همزة الوصل، أما إذا ابتدئ بها فتثبت همزة الوصل، ولكن تقلب همزة القطع حرف مدٍّ مجانس لحركة ما قبلها مثل: «ائتنا».

أما إذا تقدمت همزة القطع التى للاستفهام على همزة الوصل - ويأتى ذلك فى الأسماء والأفعال- ففى الأفعال التى وردت فى القرآن الكريم تحذف همزة الوصل

وتبقى همزة الاستفهام مفتوحة، وذلك إذا كانت همزة الوصل فى فعل، مكسورة فى الابتداء، وقد اتفق القراء على ألفاظ خمسة هى: «قل أتخذتم، أطلع الغيب، أفترى على الله، أستكبرت، أستغفرت لهم». ويرى حفص ذلك فى كلمتين أخريين: «أصطفى البنات، أتخذناهم سِخريًّا».

أما بقاؤهما معًا فذلك إذا كانت همزة الوصل مفتوحة لو بدئ بها وواقعة فى اسم محلى بأل فلا تحذف؛ حتى لا يلتبس الاستفهام بالخبر، وإنما نبدلها ألفًا مع المد الطويل لملاقاتها الساكن بعدها أو تسهيلها بين الهمزة والألف مع القصر أى عدم المد - والإبدال أشهر - ومن هذا المقام وردت ثلاثة ألفاظ متفق عليها هى: «آلذكرَيْنِ» فى موضعين، و«آلْئَنَ» فى موضعين، و«آللهُ» فى موضعين.

ويلاحظ أنك إذا وقفت لضرورة أو اختيار على (بئس) من قوله تعالى: «بئس الاسم»، فإن ابتدأت بكلمة الاسم فلك فتح همزة الوصل أو ترك الهمزة وكسر اللام.

ويلاحظ أيضًا: أن الهمز فى القرآن الكريم يرد ضمن حروف الكلمة متحركًا وساكنًا، ولا يكون الساكن أول الكلمة مثل: «أخذ، يُؤْثر، قروء»، ويسمى هذا همزًا مفردًا.

وقد تجتمع همزتان فى كلمة مثل: «ءَأَسْلَمْتم»، ويسمى ذلك بالهمزتين فى كلمة، وتكون الأولى دائمًا متحركة بالفتح، أما الثانية فتأتى مفتوحة، مثال ذلك: «ءأنذرتم»، ومكسورة: «أئِنكم»، ومضمومة مثل: «أَؤُنزل»، وربما جاءت الهمزة فى آخر الكلمة وجاءت همزة أخرى فى بداية ما بعدها فيُسمى هذا بالهمزتين فى كلمتين.

فإذا كانت الهمزتان فى كلمتين وكانتا متحركتين حذفت إحداهما بلا نقل عند بعضهم، نحو: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ﴾[١]، والباقون على التحقيق[٢].

---

(١) سبأ: من الآية/ ٤٠.

(٢) انظر: الإتقان ١/ ١٣٠ والمختصر المفيد ٣٩/ ٤١.

ثامنًا: أحكام الـلام

الـلام أنـواع: لام (أل) التى للتعريـف، لام الفعل، لام لفظ الجلالـة، وإلى القارئ الكريم توضيح ذلك:

١- لام (أل) التى للتعريف:

وهى مختصة بالدخول على الأسـماء، وعندما تقع بعـد أحد حروف الهجاء يكون لها أحدُ حُكْمين:

(أ) الإظهار عند حروف اللام القمرية.

(ب) الإدغام عند حروف اللام الشمسية.

- **وحروف اللام القمرية: أربعة عشر حرفًا، هى:**

«ء، ب، غ، ح، ج، ك، و، خ، ف، ع، ق، ياء، م، هـ».

تجمعهـا عبارة (إبغ حَجَّك وخَفْ عَقِيمه)، وسـميت اللام هنا «قمرية»؛ لأنه يجب إظهار اللام قبلها كما تظهر فى كلمة «القمر».

أمثلة: «الْأول، الْباسط، الْغفور، الْحكيم، الْجليل، الْكريم، الْودود، الْخبير، الْفصل، الْعليم، الْقاهر، الْيقين، الْملك، الْهادى».

- **أما حروف اللام الشمسية: فهى أربعة عشر حرفًا، هى:**

«ط، ث، ص، ر، ت، ض، ذ، ن، د، س، ظ، ز، ش، ل».

ويجمعها أوائل كلمات هذا البيت:

طِبْ ثُم صِلْ رَحِما تَفُز، ضِفْ ذَا نِعَم   دَعْ سـوءَ ظَـنٍّ، زُرْ شريفًا للكَرَم

وسـميت اللام هنا «شمسـية»؛ لأنـه يجب إدغام اللام فى الحـرف الذى بعدها كما تدغم لام «الشمس» فى الشين بحيث تقرآن حرفًا واحدًا مشددًا هو حرف الشين، ومن أمثلتها: الشمس، الطب، الصبور...

٢- لام الفعل:

يجب إظهار لام الفعل فى أول الكلمة ووسطها، نحو: ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾[١]، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾[٢]، وعندما يقع بعد اللام الساكنة حرف الراء تدغم اللام فى الراء بحيث يصيران حرفًا واحدًا هى الراء المشددة، نحو: ﴿وَقُل رَّبِّ﴾[٣]، تقرأ: «وقُرَّبِّ».

٣- لام لفظ الجلالة:

سبق توضيح لام لفظ الجلالة من حيث التفخيم والترقيق[٤].

(١) آل عمران: من الآية/ ١٥٥.

(٢) يس: من الآية/ ٣٤.

(٣) الإسراء: من الآية/ ٢٤.

(٤) راجع ص ٧٩، وانظر: حق التلاوة/ ٦٥-٦٧.

٧١

تاسعًا: علامات وإرشادات فى المصحف

إتمامًا للفائدة ينبغى على قارئ القرآن الكريم أن يلتزم بعلامات الوقف والإرشاد الموجودة فيه، إلى جانب معرفته بما سبق حتى تكون قراءته صحيحة، والعلامات الموجودة فى المصحف نقتصر على أهمها هنا، وهى:

م: علامة الوقف اللازم.

قلى: علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولى.

صلى: علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولى.

ج: علامة الوقف الجائز مع جواز الوقف والوصل بدرجة متساوية.

ﻼ: علامة الوقف المتعانق؛ بمعنى إذا وقفت على إحداها فلا تقف على الثانية.

لا: علامة على ما لا يجوز الوقف عليه.

۟: وضع هذا الصفر المستدير على حرف العلة يدل على زيادة ذلك الحرف، فلا ينطق به فى الوصل ولا فى الوقف: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾(١).

O: وضع هذا الصفر المستطيل القائم فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلًا لا وقفًا، نحو: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ﴾(٢).

حـ: للدلالة على سكون الحرف.

م: للدلالة على وجود الإقلاب.

ً: للدلالة على إظهار التنوين.

---

(١) آل عمران: من الآية/ ١٨.

(٢) الأحزاب: من الآيتين/ ١٠، ١١.

ـ: للدلالة على الإدغام والإخفاء.

ا: للدلالة على وجوب النطق بالحروف المتحركة.

~: للدلالة على لزوم المد الزائد.

والحمد لله الذى بنعمته تَتِم الصالحات

وبفضله يَعْفو عن الزلات

وبمنه وكرمه تُرفع الدرجات وتُنال الجنات

دكتور/ فتحى أنور الدابولى

أهـــم المراجـــع

* **القرآن الكريم.**

١. **إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر** - الدمياطى - ط/ دار المعرفة - بيروت عن ط/ عبد الحميد حفنى بمصر.

٢. **الإتقان فى علوم القرآن**- السيوطى تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - ط/ الأولى - ١٩٦٧م.

٣. **الإمالة فى القراءات واللهجات** - د/ عبد الفتاح شلبى- ط/ دار الشرق- الثالثة - ١٩٨٣م.

٤. **التيسير فـى القراءات السـبع** - أبو عمـرو الدانى - ط/ دار الكتـاب العربى - الثانيـة - بيروت - ١٩٨٤م.

٥. **حق التلاوة** - حسنى شيخ عثمان - ط/ دار الهدى - عمان - الأردن.

٦. **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة** - مكى بن أبى طالب القيسى - ط/ دار الصحابة، طنطا، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٧. **الطـرازات المعلمـة فـى شـرح مقدمـة ابـن الجـزرى** - (ت ٨٣٣ هـ)، للشـيخ زيـن الدين عبد الدايـم (ت ٨٧٠ هــ)- تحقيـق وتعليـق د. مسـعد عبـد الحـارس- طبع ونشـر: الإيمان بالمنصورة - ٢٠٠٦م.

٨. **العميد فى علم التجويد** - محمد بن على بسة المصرى - تحقيق: محمد الصادق قمحاوى - دار العقيدة - الإسكندرية - الأولى - ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٩. **فصول فى اللهجات العربية والقراءات القرآنية** - المؤلف- ط/ الثالثة ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

١٠. **الفكر الصوتى عند علماء العربية** - قديمًا وحديثًا - المؤلف - ط/ الثالثة - ١٤٢١هـ/ ٢٠١٠م.

١١. **اللهجات العربية فى القراءات القرآنية** - د/ عبده الراجحى - ط/ دار المعارف - ١٩٦٩م.

١٢. **مباحث فى علوم القرآن** - د/ صبحى الصالح - ط/ دار العلم للملايين - الخامسة عشرة - ١٩٨٣م.

١٣. **المختصر المفيد فى علم التجويد** - الشيخ محمد عبد الرحيم جاد - ط/ رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة.

١٤. **المقنع فى رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط** - أبو عمرو الدانى - نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

١٥. **النشر فى القراءات العشر** - ابن الجزرى - مطبعة / مصطفى محمد بمصر.

فهرس الموضوعات

للمؤلف كتب أخرى منها:

١ - التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري (ت ٨١٥هـ). دراسة وتحقيق. ط١، نشر دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٢م.

٢- رؤية جديدة في المعجم العربي، ط ١، مطابع المنشاوي بطنطا، ١٩٩٢م.

٣- اللهجات العربية في كتاب المصباح المنير- دراسة تحليلية مقارنة. ط التركي بطنطا، ١٩٩٣م.

٤- علم اللغة بين القديم والحديث، ط ٢، مطبعة الشاعر بطنطا، ٢٠٠٤م.

٥- في فقه اللغة وخصائص العربية، ط الزهراء للطباعة بالزقازيق، ٢٠٠٦م.

٦- فصول في علم المعاجم اللغوية. ط٤، مؤسسة مهيب للطباعة بالزقازيق، ٢٠١٠م.

٧- الفكر الصوتي عند علماء العربية قديمًا وحديثًا، ط٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٠م.

٨- فصول في البحث اللغوي، ط٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٣م.

٩- فصول في اللهجات العربية والقراءات القرآنية، ط٣، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٤م.

١٠- فصول في علم الدلالة، ط٢، مطبعة آيات بالزقازيق، ٢٠١٦م.



الطبعة الثانية
(مزيدة ومنقحة)
١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

رقم الإيداع: ٤٤٣٧/ ٢٠١٥



جمهورية مصر العربية
٤٢ شارع جزيرة بدران - أول شبرا - القاهرة - هاتف وفاكس ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٧٤٩٢١
المدير العام/ ٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥
الأزهر- ١٦ شارع البيطار- خلف الجامع الأزهر
محمول: ٠٠٢٠١٠٦١٦٤٤٠٦

E-mail: darelsafwah@yahoo.com :
www.dar-alsafwa.com

القسطاوي للطباعة
٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥





دار الصفوة
للنشر والتوزيع



جمهورية مصر العربية
٤٢ شارع جزيرة بدران - أول شبرا - القاهرة - هاتف وفاكس ٠٠٢٠٢٢٢٥٧٧٤٩٢١
المدير العام/ ٠٠٢٠١٠٠١٩٩٩٥٥٥
الأزهر - ١٦ شارع البيطار - خلف الجامع الأزهر
محمول: ٠٠٢٠١٠٦١١٦٤٤٤٠٦
E-mail: darelsafwah@yahoo.com :
www.dar-alsafwa.com